في خفة طيف

"وساوس عن العشق والتخبط"

سيل ورد

في خــفة طــيف

"وساوس عن العشق والتخبط"

ســـــيل ورد

نصوص

إلى أمي التي تقويني...
إلى باسل وبسام فرحة حياتي...
إلى لحظات التخبط يرجع الفضل...

كلنا تنتابنا الوساوس، قليل منا من يستطيع التعامل معها بقوةٍ وثقة، وتجاوز ما تُخلّفُه لنا من إحباطات، والكثير هو الذي يقع أسيرًا لها، تُسيّرُه؛ كيفما تشاء.. يعيش موهومًا بها، وربما تفسد روحه، وتشوش عقله.

استسلمي للوساوس فقط لتتغلبي عليها.. استمتعي بلذة الإحباط واليأس والخواء قليلاً، ثم تخلصي منها بهدوء، واملئي قلبك بمعاني الوجود الجميلة، ما زالت روحك تهفو للمزيد من الاكتشاف والانكشاف، فلتدعيها تنطلق.. خففي من قيودها لتصبحين في خفة طيف.

هذه وساوس، قد تفيد، في لعبة العشق ومتاهة التخبط.

في البدء كانت الرحمة

#

طوبى لمن يلمس قلبك ليشفيه، وروحك لتهدأ.. طوبى لمن يخشى على شفتيك أن تُمسَّا من نسمات الهواء، ولا يرتضي إلا أن يُخبئها بين شفتيه.. طوبى لمن يَود إخفاءكِ بين ضلوعه، ولملمتك داخل صدره، وحجبك عن شرور الأرواح الشاردة.

***

انفتح قلبه في غفلة منه، دخلت هي.. ربما تعبث ببعض الأشياء هناك.. ربما تحتل قلبه، ولا يستطيع إخراجها، أو حماية نفسه من سطوتها عليه.. طرد مخاوفه وتلذذ بدفقة الفرح والدهشة والحنان التي بعثتها إليه عيناها.

***

أنا محض طيف.. أرفرف.. أحوم.. أدور في الأجواء.. أتوه وسط الزحام.. لا يلمحني سوى من تمنى بصدق ولهفة أن يراني.

***

تبارك الذي يمنح لتنفسكِ معنى.. ولإفاقة عينيكِ وقت الصباح هدفًا.. ولابتسامة شفتيكِ ظلًّا ساحرًا.. ولجسدك سببًا للوجود.. تبارك من أحيا قلبكِ بهمسة عشق.. وأنعش روحكِ بلهفةٍ نورانية.. يا من تسكن الروح.. وتملأ القلب.

***

للهدوء الذي يلي الحب لذة.. سكون تام يشعر فيه قلبك أنكِ مطمئنة بوجوده.. ذلك الحبيب العذب.. تفعلين كل الأشياء بثقة.. وبمتعة.. تصبحين قادرة على مواجهة أي شيء.. تختفي الغصة من داخلك ويحل مكانها التلهف.. تعرفين أنكِ إذا ما قابلته سيغمرك الاطمئنان أكثر.

***

وحده من يستطيع ملامسة الروح.. وحده من تسكن إليه.. وتنسى سنين وحدتها الموحشة.. وحده من يهب لها جناحين ورديين؛ لتطير بهما حوله.. ويهب لعينيها الدهشة والفرح.

***

عندما يراني من أُحب.. يعطي ابتسامتي لون الفرح.. وضحكاتي صخبها.. وخطواتي ثباتها.. وعقلي هدنة راحة من دوران الأفكار.. وقلبي قبلة الحياة.. ويهدي روحي شقها المفقود.

***

لأني أحبك أصبحت قادرة على مواجهة نفسي في المرآة.. رؤية ملامحي دون إدانة.. ملاحظة جمال عيني رغم تكذيب ذلك في السابق.. تأمل وجهي.. تفحص جسدي.. إنها بداية التصالح مع هذا القالب الذي يضم روحي وأفكاري القلقة، ومزاجيتي المتقلبة.. ربما يكون هذا القالب وسيلتي في الإحساس بحبك.

***

بحضوره يكتسب كل شيء طعمًا.. تمارس تفاصيل الحياة بلذة.. تستيقظ مُتلهفة.. تشعر بخفة وهي تسير.. قلبها ينبض نبضات متسارعة.. وروحها تسكن.. وعيناها تلمعان.. يلاحظ الآخرون لمعة

عينيها لدرجة تُخجلها.. لا تعلم كيف تخفي لمعة عينيها، ورنة الفرح في صوتها حتى لا يكتشف بريقها أحدٌ سواه.

***

كيف تقول له: إنها لم تعشق بهذا الجنون والتطرف أحدًا غيره.. وأنها لن تشعر بلذة الحياة إلا في حضوره وداخل حضنه.. وأنها لا تريد ذكرًا آخر، فهو بعينيها كل الذكور..كيف تصف له أنها تعرف أنه توأم روحها.. لن تقول له شيئًا.. إذا لم تستقبل روحه فرحتها به.. ومسامحتها له مهما يفعل.. وحنينها له الذي يشتعل عند أول كلمة يقولها.. فالصمت في عشقه متعة أيضًا.

***

في ظِلّ السخط والكراهية والحزن فقط تكفي كلمة منه لتزيل كل ذلك.. وتمتلئ عيناها دهشة، وقلبها فرحًا، وتطوف روحها حوله.

***

براءة إحساسه تعيد إليها نضارتها التي فقدتها في وحدة موحشة.. ملامحه شهية وطازجة.. وقلبه مثل عالم طفولي تمنته طويلًا.. خفيفان هما

كطفلين يلعبان.. يأخذها من يديها ويعطيها الحلوى ويقبلها بغتة.. وهي تندهش وتفرح لطفولة لم تفقدها.

***

الذكر العذب هو ذلك الكائن الذي يجعل قلبك يرقص فرحًا من كلمات.. ويدخلك عالمًا سحريًّا تكونين فيه الأنثى الحلوة المبهرة.. تلك التي تظهر في حكايات الجدات.. وأنتِ تجلسين أمامه مترقبة.

***

تُسكره عيناها.. وفي ذروة الخدر يدفن رأسه في صدرها.. يستكين فيها.. يخلع حزنه ووحدته.. تنمحي ذكريات الألم.. ويمتلئ قلبه بها.

***

أشعر بلمسات خطواته الناعمة داخل شراييني.. يتسلل داخل قلبي.. ليس خفية وإنما بعذوبة.. يمحو بيديه آثار الغزاة القدامى.. يهيئ قلبي لإقامةٍ طويلة.. أتوقف عن المقاومة.. أتركه يعيد ترتيب ملامح قلبي بما يليق بسحره وبهائه.. أذوب في حالة خدر يبدأها صوته الساحر.. وكلماته المدهشة.. ولا أرغب في الرجوع منها أبدًا.

***

تمنَّت أن تكون قبره؛ لأن لا مكان يستحق أن يحوي جسده العذب سواها، ولكي تحمله داخلها ويلتحمان للأبد، لا يفرقهما موت ولا تزعجهما مسافة.

***

لو عاملها برقة كوردة ستغرقه بعطرها وتدهشه بنعومتها.. وتكون له أنثى شهية.

***

معك عشقت التغزل فيك.. وكنت في السابق أهوى أن يتغزل فيَّ الآخرون، لديَّ بئر من الكلمات لا ينفد.. فقط سحرك هو ما يجعلني أشبكها لك غزلًا.

***

تعلَّمي؛ كيف تهدهدينه كطفل.. ففي هدهدته لذة.. كما في إحساسك بقوته، ورغبتك في الاختباء فيه متعة.

***

أصبحت واثقة أن من يعشقها لا يستطيع إلا أن يلتصق بها.. فسحر عينيها يفتك به بلا رحمة.

***

تأسرني ثقته الزائدة وثباته... وأذوب حينما أشعر أنه معي طفل صغير.

***

تصبح كلماته ترنيمات صلاة.. ترددها في ذهنها مرة ومرة لتطمئن بها قلبها.

***

غارقة في عشقك لآخر شريان فيَّ، وأعرف أنك الذي أتمنى أن يكون لي.. صدقت أنك توأم روحي.. وأُحسك كأنك ساكن فيَّ.. لو ظللت ترى أنك كيان وحدك ولست جزءًا مني.. سوف تذبل مثل وردة مقطوفة.

***

تعلم أنها فتنته.. وأنها أنثى حياته.. لكنها ترتعب من احتمالية فراقه؛ لأنه طفل عنيد.. تخشى فقدانه في لحظة كبرياء تجعله يفضل راحة زائفة على عشقٍ جنوني يربكه.

***

اتركي في قلبك منطقةً حذرة.. حتى لا تتفاجئي بغيابه مرة أخرى.. كوني مستعدة عند فراقه القادم؛ لئلا تتوجعي.. وإذا فعلها لا تسامحيه؛ لأنه وقتها سيدمن الرحيل.

***

افتقدت الأمان.. ما زال في قلبي خوف من الفراق.. يجعلني أفكر أن أهدئ نبضات قلبي.. وأوقف اندفاع طيراني.. أفكر بالوقوف في المنتصف حتى أستطيع العودة لمربع الوحدة وقتما يحين فراقه.

***

تسعدها مراقبته لها، ولا تجرؤ على الاقتراب، فعجرفته أفسدت كل تبريراتها في مسامحته أمام نفسها.

***

أغمضي عينيك واحلمي به في استيقاظك ومنامك.. ليس مقدر لكي وصاله.. هناك أشياء من فرط حلاوتها تستعصي على الإمساك.. احفري ملامحه في قلبك وحريه.

***

أدخلها حنانه في دائرة عشقه.. وعلقت في قسوته.

***

لا تعشقي رجلًا يضعك في حيرة.. اعشقي رجلًا يهدهدك في أمان حضنه.. ويشعلك بدفء شفتيه.. وتذوبين في لهفته وتلتصقين به إلى الأبد.

***

أصبح يتلاعب بها.. يتعامل معها كأرجوحة يرفعها عاليًا ثم ينزلها إلى الأسفل، ونسي أن المشاعر عندما تتأرجح تفقد سحرها ولذتها.

***

هي تعشقه حدَّ الذوبان.. وهو يغلق حدوده دونها.. يستفيق من سكرة العشق ويبعدها عنه؛ ليستمتع بحزن قديم صنعه كبرياؤه ووحدته الطويلة.

***

احذري.. إذا عشقتِه كابن لكِ.. لن تستطيعي إخراجه من أحشائك إلى الأبد.

***

تتمنى أن تلتصق به.. وتختبئ فيه.. وتعلم أنه يتمناها.. ولا تعلم ما يمنعهما من الاكتمال.. ربما بعض جراح الماضي تخيفهما.

***

تزيني له.. كحلي عينيك ولوني شفتيك بالأحمر.. حرري شعرك.. ضعي عطرًا برائحة الفل، واتركي لهفتك تتصاعد.. هيئي حضنك لاستقباله.. لا تحزني.. إنه لن يأتي.

***

حينما تهجرني؛ تتدافع كلماتي ونوبات جنوني.. أصبح غير قادرة على إيقافها.. تتسارع خطواتي، ولا أستريح بالجلوس على مقعد.. وحينما تعشقني تتدافع داخلي الفرحة.. تختلط بالخوف والخيال الساحر.. وأطير بروحي إلى السماء.. في كل الأحوال بحضورك أو غيابك لا أعود تلك المرأة التي مللتُ معايشتها.. قبل لقائك.

***

تكتسب ملامحه في الصور معاني متناقضة.. لم تَعُد تثير فيها الفرح ولا الغصة.. أصبحت تتحاشى تأملها.. تمر عليها سريعًا كمرور الحافي على شظايا الزجاج.

***

في رجوعه وفراقه؛ يتأرجح القلب بين الفرحة والوجع.. ويصبح كعصفورٍ أعياه الطيران، وأصابته ضربات طائشة.. فيُحتَضر استسلامًا.

***

كيف يجتمع الحنان والقسوة المُفرطان في روح تهب الحياة للتائهين.

***

من يُضعفكِ؛ لا يستحق أن تتوهمي أنكِ تَتَقَوَّيْنَ به.. القوة لا تأتي إلا من الداخل.. تعلمين أنكِ تملكين مُقومات القوة.. لكنك تفضلين رهن وجودك بآخر لا تثقين تمامًا بثباته.

***

إذا شعرتِ بالحنين فلا تخبريه.. فهو لا يستحق أن يعرف أنكِ تشتاقين إليه.. كما لا يستحق أن تشتاقي إليه من الأساس.. حاولي محو حنينكِ واقتلاعه من جذوره.. فهو اختار القسوة نمط حياة.

***

أغار عليكَ من كل اللواتي تَراك عيونهن.. ويبتهجن لابتسامتك الشهية.. وأنا لا تحتضنك عيناي.

***

الثقة بين العاشقين لا تصنعها إلا معايشتهما لبعضهما البعض.. البعد يقتل الثقة وإحساس الأمان.. ويجعل العشق أحاسيس بلهاء لا معنى لها.. تختنق ولا تعود قادرة على التنفس.

***

لم تعد في نظري طفلًا كما توهمتك.. رغم أن طفولتك هي ما أدخلتك في قلبي.. إحساسي أنك تحكي لي أشياءً ببراءة.. وتظهر أمامي حنانك وعفويتك.. وتندفع في مشاعرك تجاهي كطفلٍ يبحث عن

حضن أمه.. الآن أصبحت لا أعرف؛ هل أنت الطفل الذي عشقته أم رجلٌ يتباهى بقسوته على النساء؟..

***

كنا كطفلين يلعبان.. لم نكن نعرف أن لعبتنا كانت العشق.. وأن العشق لا يليق بطفلين.. أو ربما لا يُسمح للأطفال بممارسة ألعاب الكبار .. الذين لوثتهم معارك الحياة.

***

ما أسوأ فقدان لذة الحلم به، تغمض عينيها وتندفن في حضنه، وتتخيله حاضرًا، الحلم به موجع كجرحٍ لن يذبل.

***

هي تريده وهو يريدها.. والخوف يمنعهما.

***

تعلم أن روحها تُلاقي روحه، وأن التخاطر بينهما قوي.. لذا ترسل له رسائل بعقلها.. وعندما تريد أن تشعل حنينه؛ تتخيله يحتضنها وتناديه فيأتي.

***

يخاف الاقتراب حتى لا يذوب فيها، ويخاف الابتعاد لأنه لن يعشق غيرها، ويخاف اشتعال حنينه لها، ويخاف أن يبادلها الحديث، ويخاف أن يهملها تمامًا، ويخاف أن لا يشاركها تفاصيلها حتى ولو بالمراقبة، ويخاف أن تمل خوفه وترحل، وهي تتمنى أن تحتويه في صدرها؛ تنتزع مخاوفه وتزرع في قلبه الأمان.

***

الحب مخدر يجعلكِ تتحملينَ عفن الواقع.. لكنه لا يُتلف خلايا المخ أو الأعصاب.. بل يقضي على القلب والروح.. إن كان لمن لا يستحقه.

***

يزداد قسوة.. لا يفهم أن حنانه هو ما يُغريها به.. يمتنع عن هدهدتها، ولا يفهم أنها تغضب فقط؛ ليمنحها حضنًا دافئًا.. ويُغرقها عشقًا.

***

تتمنى أن تقسو عليه.. أن يأتيها وقد أعياه الحنين وترفضه.. أو تتجاهله كما يفعل.. لا هو يبعثه الاشتياق إليها.. ولا هي تستطيع أن ترده خائبًا.

***

حين تأكدت أنه يتعمد إيذاءها بلا رحمة.. تحولت كل ليالي العشق لأيام سيئة.. تذكرها أنها سامحته بلا حدود وهو سحقها.

***

لن تكره في نفسها قدرتها على المسامحة والحب.. بل ستشفق على من تهزمهم القسوة، وخبرات الحياة ويكون الإيذاء طريقتهم في المقاومة.

***

بدأت تستسلم لإحساس التبلد الذي يتسرب إليها.. تتلاحق ملامحه في ذهنها دون أثرٍ نفسي.. اسمه لم يعد يخفق له قلبها حينما تردده في ذهنها.. ولم تعد تتلهف لمعرفة أخباره.. هو يستحق أن يتسرب من قلبها.

***

تخاف أن تضعف.. ليس فقط لأنها تكره ذلك.. لكن لأنه لا يحترم ضعفها.. ويؤذيها بشراسة وهي في ذروة هذا الضعف.. تتمنى أن تنتزع عشقها له من داخل روحها.

***

أصبحت تعلم متى يكون حزينًا.. ومتى ينهشه حنينه إليها.. لكنها لم تعد تعبأ بتقلبات مزاجه.. فقد استنفدَ فرصه في قلبها.

***

عندما تعشق تصبح في رقه الوردة.. قبلة حانية تجعلها تتفتح.. ولمسات خشنة تجرح أوراقها.. وتذبل.

***

تنام.. تعيش معه في الأحلام.. تستيقظ متخمة به وبحضوره.. عندما تستعيد وعيها تشعر بثقل وطأة الفقد.. تحزن لأنها لن تمتلئ به إلا في عالم الخيال.

***

تتمنى أن تصبح طيفًا.. تلاحقه أينما ذهب.. تراه ولا يراها.. تستمتع بقربه وحدها.. تراقبه في وحدته.

***

هو طفلها.. يريدها أن تهدهده وتحنو عليه.. وعندما يغضب تصبر عليه.. وحين يبتعد تنتظره بشوقٍ.. وهي لا تستطيع إلا أن تتحمل تقلباته.. وأن تواجه غضباته بابتسامة أمٍّ حانية.

***

هي لا ترضى بأقل من العش سبيلًا لمحبتها.. والإدمان وسيلة لمعايشة تفاصيلها.. ولا تريد من عاشقها سوى ألا يرى في الدنيا غيرها.

***

عندما يصبح عشقك له فوق إرادتك.. استسلمي تمامًا له.. فالمقاومة ستجهدك وستزيد عشقك لوعة.. استكيني.. وسيري بهدوء حتى لا توقظي قلبك من غفوته.. وتعذبيه بألم عناده.

***

بدونه تفقد كل الأشياء مذاقها.. تصبح الأحداث باهتة.. وملامحها تكتسب برودة فقدانه.. وقلبها لا يشتهي نبضاته.. وتتحول دقاته إلى حركات خافتة.

***

هو يختبئ في صمته، وهي تتمنى أن تختبئ فيه.. وعشقهما يختبئ داخلهما.. ويحلمان أن يختبئا عن عيون الناس ويلتحما جسدًا واحدًا وروحًا.

***

لم يعد يفرحها حضوره المفاجئ.. اعتادت على حزن غيابه لدرجة تجعلها ترتعب من فرحة عودته.. لأنها تعني وجعًا جديدًا يبدأ ببداية غيابٍ آخر .. يحثه خوفه على فعله.

***

كلما زاد خوفه من الاقتراب اشتعل حنينها له.. وكلما تحول لحلم ساحر أسطوري تتمنى ملامسته والذوبان فيه.

***

تتراوح بين كراهيته وعشقه.. في ذروة قسوته تلتمس له الأعذار.. تشفق عليه.. تكره إحساس الأمومة الذي يختلط بالعشق نحوه.. وتعلم أن هذا ما يضعفها.. كونها تعتبره طفلًا لها.. ورجل تتمنى الاختباء فيه.

***

تعلم أنه ليس خيالًا تسقط عليه توقها للعشق.. رغم محاولاتها إقناع نفسها بذلك.. روحه تسربت إليها.. وألفت روحها.. لديه شيء يجذبها.. لا تستطيع تفسيره.. لكن روحها تفك شفراته.. تشعر أنه بالفعل جزءًا منها عاد للالتحام بها.

***

عندما تقول لحبيبك إنك ستهجره، فذلك يعني أنك تريده أن يستبقيك.. أما إذا فقدت الرغبة في إخباره.. فذلك يعني أنك انتويت الفراق بالفعل.

***

بدون الحب تصبح كل قوانا خائرة.. نفقد أية رغبة على الفعل.. نمتص كل الطاقات السلبية.. وتثقل قلبينا الهموم.. تثقلنا وحدتنا إلى الحد الذي نعجز فيه عن تحريك شفاهنا للابتسام.

***

لن تسامحه على غبائه، وعلى حرمانها من حنانه الذي تعلم أنه يتميز به.. ولن تغفر له فرص الوصال الضائعة، والتي تمنت أن تذوب فيها إلى حد التلاشي في ذراته.

***

أحبها.. تخيلت أنه بذلك كتب مصيرهما معًا.. وأنه لن يفارقها أبدًا.. لكنه كان يملأ فراغ قلبه بوهم العشق.. وكانت له مجرد صورة ترضي خياله وتشبعه.

***

هو يخاف من التورط في العشق.. يخاف أن يرتشف ريقها.. وأن يغرق في عسلها.. يخاف أن يفقد قلبه وروحه في ذوبانه فيها.. يقف على حافة الحلم.. لا يجرؤ على الانغماس فيه.. ولا يقدر على تركه تمامًا.. فيختبئ في الصمت؛ ليحتمي من ضرورة الاختيار.

***

ستحتفظ به في قلبها.. طيفًا تمتلكه وحدها.. عندما يهدأ الليل ويحل السكون.. تستحضره.. تعيش معه حلمها الساحر.. تسمع منه ما لم يرد قوله يومًا.. وترتشف حنانه.. يهدهدها بلمساتٍ حانية ويغرقها بقبلات نهمة.. تذوب فيه حد الارتواء.. وعندما يملؤها الحلم .. تعيده إلى قلبها؛ ليغفو ويستريح.

***

كل يوم تجدد سخطها نحوه.. عند استيقاظها صباحًا تباغتها اللهفة عليه وهي ما زالت في خدر النعاس.. تفيق وتتذكر أنه لا يستحق.. وتملأ قلبها من جديد بسخط يكفي لاحتفاظها بقرار الابتعاد كما هو.

***

هو الوحيد الذي يُرضي عقلها.. ويعتبر جرأتها مكمن قوة.. لم يخش جرأتها لأنه أقوى باحتوائه.. ويملأ قلبها بمشاعره البريئة وطفولته.. ويتمم روحها بروحه.

***

تشعر ببعض الفرح؛ لأنه حزين بسبب البعد.. لكنها في داخلها تتمنى أن تطمئن عينيه.. وتسكن صدره، وتظل مختبئة فيه طويلًا.

***

عندما استشعر أن فقدانها حقيقي هذه المرة.. فقد الرغبة في فعل أي شيء.. فضل أن يكون وحيدًا.. خبأ لهفته عليها.. ظل يترنح من قسوة الفقدان.. لا يعرف إن كان يستطيع عيش ما تبقى له من دونها أم لا..

***

عندما ملت انتظاره وتفهم مخاوفه؛ قررت الابتعاد.. هذه المرة بإرادتها.. ليس لأنها لم تعد تحبه.. لكن لأنها لم تعد تتحمل قسوة تردده.. وضعف إيمانه بها.

***

عند الفراق؛ يرى كل طرف أن الآخر ذبحه بغتة.. لكنه لا يرى سكينه المغروسة في رقبة حبيبه.

***

ليته يعلم؛ أنه هو من زرع في قلبها اليأس.. واستنفد صبرها الأمومي.. واستمرأ مسامحتها.. وتشبث بشرنقة ذاته التي تحول دون اقترابه.. في الوقت الذي كانت تحتاج فيه بقوةٍ إلى أمان حضنه.

***

لا تعود أي أرضٍ ثابتة.. وتتوالى تقلبات مزاجها.. لا تعرف؛ ماذا تفعل.. دومًا ما يعتبر الآخرون ترددها المفرط عيبها الكبير.. لا يعلمون أن الحياة لا توفر لها اختيارات سهلة.. وأنها دومًا مجبرة على ترجيح الأقل سوءًا.. واختيار الطريق الذي تستطيع تحمل معاناته.

***

قبل شفتيها بنهم.. قبل كل جزءٍ في جسدها.. مرددًا سر عشقه لها بهمس.. ارتشف عسلها على مهل.. أطعم جوع جسدها وروحها

بخضوع لا يجيد طقوسه غيره.. توأم روحها.. هكذا حلمت به في ليالي انتظاره.

***

تُردد اسمه كتعويذة تقيها من وحش الوحدة المقترب.. تُشعل برودة قلبها بحرارة عشقه.. تُوقظ روحها من سبات طويل.. فقط على أمل أن تنعم بدفء احتضانه.. والسكن فيه.. والذوبان في ذراته.

***

تتغذى على الحب.. يُرضي قلبها النَّهِم.. ويُشبع روحها الشَّبِقَة.. ويجعلها تطير للسماء.. وإذا اكتشفت أن من أحبته لا يستحق.. لا تكرهه.. إنما تُنحيه جانبًا.. وتكتفي بما أعطاها العشق من لذة.. وبأنه أنعش رغبتها في مواصلة الحياة.. وجدد ذراتها ودماءها.

***

عندما تَفقدين فُقاعة الحب التي كنتِ تعيشين فيها.. تكتسب الأشياء المحيطة طعمًا جديدًا.. كأنك تكتشفينها.. لكنه اكتشاف لا يخلو من لذة.. لأنه يستهلك حواسك التي كانت معطلة بانشغال خيالك وذهنك بحال الحبيب.. الآن تتلذذين بمشاهدة التفاصيل من حولك.. وأنتِ تشعرين بتحررك من وهم التلاشي في آخر بعيد.

***

ليته يعلم؛ أنها طالما تمنت منه كلمة تبقيها.. تطمئنها.. تؤكد لها أنه لا يتمنى غيرها.. وأنه يعشقها بجنون.. لكنه فَضَّل أن يختبئ وراء صمته.. ويترك الظنون تنهشها.. وتحول عشقها لألمٍ يُجهد قلبها وجعًا.

***

تتعامل مع الجزء المازوخي داخلها برفق.. هو وحده ما كشفه لها.. وهو وحده ما يستفزه فيها.. تُهدهد مازوخيتها.. كما تُهدهد عشقه داخلها.. حتى لا ينفجر كقنبلة، ويدمر أحشاءها وروحها.. ويفقدها أحلى ما عاشته في حياتها.

***

أحيانًا ترتضي الانسحاق فيه.. فذلك يطمئنها أكثر.. يجعل روحها تستكين.. أحيانًا تستيقظ لا ترغب في شيء سوى احتضانه وتقبيله.. والتلعثم في نطق كلمات العشق له.. من فرط الحنين.

***

يومها يفسد إذا لم تستطع روحها التواصل مع روحه.. وإذا لم يَذُق ذهنها لذة تخيله.. وإذا لم يداعبها حنينها إليه.. وغلبها الفتور نحوه على التلهف.

***

إذا انتصر عقلها، وتخلت عن عشقه.. في لحظات قوةٍ زائفة.. تتخيل فيها أن وجع عشقه لا يحتمل.. يكون الخواء أكثر وطأة.. كيف تستمر الأيام دون أمل الاكتمال بتوأم روحها.

***

في أكثر اللحظات حاجة إليه؛ تمنعها الخيبة من الاقتراب منه.. تعلم أنه سيظل صامتًا وسيتضاعف حزنها.. فلتحتفظ بمقدار حزنها ومللها كما هو، وتحمي نفسها من دفقة يأسٍ وغضبٍ؛ تلعن فيها ضعفها وحنينها إليه.

***

تتمنى أن يتغير فجأة، ويصبح أكثر حنانًا ولهفة.. تتمنى أن يدهشها باقترابه.. ويعترف بأن الحنين أعياه.. وأن يُغرقها بكلمات العشق.. تتمنى أن يهزم خوفه وقسوته وعجرفته.. ويلتصق بها.. تهدئ قلبها ببعض الأماني، وتتركه يغفو؛ لتستطيع النوم.

***

أحبي فقط من يتحمل توترك.. ويُهدهد طفولتك.. ويُهدئ تسرعك.. ويُطمئنك وقت خوفك.. ويُشاركك صخب فرحك.. ويُقاوم كآبة حزنك.. ولا يسخر أبدًا من ضعفك أو يتعالى عليه.. أحبي من لا يَصمُت أبدًا وقت تلهفك الشديد إلى حديثه.

***

جنونك الشديد جعله يفقد السحر الذي تخيل أنكِ تمتلكينه.

***

تُعيد نسج شرنقةٍ جديدة.. بما يليق بعزلةٍ آمنة.. تأخذ ما يكفيها من مشاعر محايدة تجاه الحياة.. تُهمل أية مشاعر حادة أو صاخبة.. ملَّت الصخب.. رغم أنها لم تُمارسه بالفعل سوى في خيالها.. هي امرأة تليق بالعزلة.. وتألفها.. ما عادت تَهوى الطيران، وقد أتلف الانتظار الطويل أجنحتها.

***

التوق للاختباء في حضن الحبيب.. رغبة قديمة للعودة إلى التوحد مع جسد الأم.. والشعور أنكِ جزءًا صغيرًا من كيان أكبر يحميكِ ويرعاكِ.

***

هو في عينيها أجمل ذكور الأرض.. عيناه بريئتان ومدهشتان.. وخداه شهيان.. وشفتاه لهما لذة السحر.. وضحكته مفرحة.. تضحكها بقدر ما تدهشها.. وجاذبيته تخطفها من كآبتها المعتادة لتدخلها في حالة حنين ملتهب.

***

كل الرجال أطفال مهما اختلفت أعمارهم.. تحصني بحس الأمومة في التعامل معه.. واحرصي على ألا تغرقيه بها.. لكي تتركي له فرصة تبديل اللعبة.. والاستمتاع بلذة احتوائك.

***

البكاء مثل الفرح .. انفعالات نفسية تُجهد القلب.

***

هو اختار أن يكون من الغرباء.. لذا عليه؛ ألا يغضب حين يعود ويجدني لا أستطيع معرفته.

***

أتوق ليوم يخلو من أية شوائب.. تبقى فيه مشاعري هادئة وملامحي فَرِحَة.. ويختفي توتري الأزلي.. ويكون قلبي مطمئنًّا، وروحي ساكنة.. وأعلم أن ذلك لن يحدث إلا بحضورك معي يا سيد السحر واللذة والهدوء.

***

لم يتبقَ إلا طيفه.. والذي ربما لن يزورها هو أيضًا.. لأنه أعلن غضبه وقطيعته.. ربما يستجيب طيفه لعناده، ويمتنع عن المجيء ليلًا..

ليهدئ روحها، ويطرد وحش وحدتها.. لا بأس؛ فليختفِ طيفه أيضًا، ولتتركها كل أشيائه العالقة؛ لتنام وتتلذذ بالحزن.

***

من يقتات على دموع النساء، هو ذلك الذي يستمد شعوره بذاته من تلهف الآخرين عليه.. تخاصم مع روحه.. واكتفى بأن يشبع من فتات أرواح الآخرين.

***

عندما يُقرر إهمالها بإرادته يقطع شريانًا ما بقلبها.. ولأنها استبقته كثيرًا.. وأهملها أكثر.. أصبحت شرايين قلبها ممزقة.. لا ترغب في إصلاحها.. ولا تستطيع.

***

عندما ينتابها التوتر؛ تستدعي طيفه.. علّه يُهدئها.. تتمنى أن تُشاركه توترها.. أن يحتضنها بحنان.. ويُربت على ظهرها.. تُقرر ألا تلعن قسوته وغيابه.. حتى لا يتزايد توترها.. تُقبله في الخيال، وتُغمض عينيها في حضنه بضع لحظات.

***

بدون حب.. وبدون توأم للروح نسعى للاكتمال به.. تصبح الحياة بلا جدوى.

***

تلعن هوسها به.. وتلعنه هو أيضًا.. يستحق لعنها.. ولا يعني ذلك اختفاء الحنين إليه.. بل نوبة من نوبات الغضب عليه، والتي لا تفلح دومًا في التأثير في مكانه في قلبها وروحها.

***

فقدت قوة اشتعال حنينها إليه.. أصبح خيالها عاجزًا عن استحضار طيفه.. وأصبحت صورته مشوشة في الذاكرة.. كما لم تعد نبضات قلبها تتسارع حينما تهم باستحضاره.. إنه يُحتَضر بقلبها.. ولا تنتوي إنقاذه.. ولا تستطيع.

***

عندما نفقد من نحب رغمًا.. نجبر على الالتفاف حول ذاتنا.. نضخم من أهميتها.. ونسعى للثأر لها من وجع الفراق، والوحدة بهدهدتها.. وتوفير كل ما يبقيها راضية.. لينسيها فجيعتها.

***

حين تتخلص من آخر جرعة من وهمه.. وتبدو متماسكة.. يعود بإلحاح ليعيد ملء كأسها من وهمه.. ومنه.. لا يتخلى عن حياده..

لكنها تعلم أن اقترابه خوف من فقدانها للأبد.. ومحاولة منه لإعادتها إلى سجن عشقه.. والذي يعي جيدًا أنها لم تتحرر منه تمامًا.. وأن مجرد اقترابه كفيل بأن يفقدها حريتها.. ويعيد لعشقه سطوته عليها.

***

هو يجيد التخفي.. والاختباء وراء صمته.. وأحيانًا التلذذ بإيلامها.. وهي تجيد محاولة نسيانه.. والتململ.. وكشف تألمها له في لحظات اليأس.. وحنينها له في سكون الليل الموحش.. وتجيد الندم على إظهار ضعفها له، والذي يتجاهله بمهارة سادي.

***

وحده فقط هو من يملك قوة دفعها لممارسة الحياة في ذروة استسلامها للموت.

***

روحه تطوف حولها؛ لتؤمن خطواتها.. وحضوره يحميها من شر الانزلاق إلى هوة الفناء.. وتطوف حول ملامحه؛ لتتلمس الأمان.

***

تفتقده.. تهرب من وطأة افتقاده.. وتحاول أن تستعيد هدوءها قبل اقترابه المدهش والبهي.

***

وحده هو من يعيد لروحها السكينة.. في صمته دعم.. هكذا تحب أن تتخيل.. وتتمنى أن تكون روحها قادرة على ارتشاف روحه.. رغم الصمت الذي يطول.

***

لا تتخلى عن وهم العشق.. واكتمال الروح بتوأمها.. رغم الإخفاقات يظل العشق حلمًا ورديًّا.. ينبض له قلبها.. وتتوق إليه روحها.

***

هو يراوغ.. يفتعل القسوة والإهمال؛ لكي يخفي انغماسه في عشقها.. وهي تصر على ملاحقته.. تخشى فقدانه بهوس، فتدفعه نحو مزيد من القسوة.. ولا تعلم أنها لو ابتعدت عنه خطوات، فسوف يهرول إليها مفزوعًا من احتمالية فقدها.

***

تحمله في داخلها أينما تذهب.. وحين يشتعل حنينها إليه؛ تخرجه من قلبها تحادثه.. تشكو إليه حنينها.. تلحق بشكواها كلمات غزل.. تعرف أن مغازلتها له تذيب قلبه.. تعرف جيدًا أنه أدمن حديثها.. وأن لذة اقترابها ملأت روحه.. روحها أخبرتها بذلك.

***

أسوأ ما في العشق؛ أنه يعدكِ بسعادة نورانية.. ويصنع لكِ عالمًا ساحرًا تُغرقكِ تفاصيله.. وتعيشين فيه لدرجة تجعلكِ تشعرين بوطأة الحياة الواقعية بشكلٍ مضاعف.. حينما تتطاير ذرات عشقكِ في الهواء.

***

عندما ترهن المرأة وجودها على مَنْ تعشق.. عندما تفرح لحضوره وتحزن لغيابه.. عندما تبكي له ولأجله.. عندما تفقد لذة العيش من دونه.. عندما تدخر دفقات الدهشة، والفرح في عينيها فقط له.. تكون قد صنعت لنفسها سجنًا إراديًّا سيستمرئ حبيبها مكوثها فيه طويلًا.

***

تتخفف من أثقال العشق.. تلك التي تشدها لأسفل.. تصبح في خفة طيف.. تطير لأعلى.. تتخلص من قلبها وروحها.. إمعانًا في طلب الخفة.. وحده عقلها الذي تتشبث به.. ربما لأنه لا يُجهدها كثيرًا.. تُلوح له من بعيد.. في طوافها الفَرِح.. تُرسل له ابتسامتها للمرة الأخيرة.. لتعلق بذهنه طويلًا.

***

هي امرأة الحكايا غير المكتملة والخوف المرضي.. امرأة الدهشة والفرح، والسحر، والحزن الطويل.. هي دومًا خيال صعب المنال.. رغم اقترابها الشديد منك.. هي حلم.. إذا حاولت إغلاق أصابعك عليه والتمسك به.. يتطاير ذرات في الهواء.. هي امرأة الخيال بلا منازع.. ذلك الذي يتخاصم دومًا مع الواقع.. ويفر منه.

***

يُفرحها أن تعرف أنه أبدًا لن ينساها.. فهي امرأة تنحفر عميقًا في الروح والقلب.

***

دفعه حنينه إليها.. تشعر بقوة حنينه تحوم حولها.. حتى قبل أن تدرك حضوره.. والذي يجعلها تتخبط في حالة من الفرح والتوجس.. حضوره دومًا موجعًا.. يُصر على اقترابٍ منقوص.. يبعث فيه بإشارات أنه يعشقها.. لكنه أبدًا لا يحضر بشكل حقيقي.

***

تختبئ من نسمات الهواء الباردة.. تثير فيها الحنين.. تذكرها بشتاءات كثيرة تلهف فيها قلبها على الحب وعاد خائبًا.. تُشعل فيها الرغبة في الاختباء والبحث عن الدفء .. تعيدها إلى إحساس التلذذ

بالعزلة واعتبارها حماية.. لم تدم لحظات تمردها.. خبت سريعًا مع أول لسعات للبرد.

***

كلماته الحنونة تعطيها طاقة لتواصل.. بعد أن كانت قد أوشكت على الاستسلام لليأس.

***

يا وجعي.. يا جرحي النازف في قلبي.. يا جرحي الغائر.. يا حلمي الذي بدلًا من أن يتحقق أرقني .. أفقدني أماني.. يا عشقي.. سلام لروحك التائهة.

***

الشوق يدغدغ القلب.. ومع مرور الوقت دون حضور الحبيب يتحول الشوق للسعات سوطٍ لا يتحملها القلب.. فقط رؤية عينيه هي ما تنجي القلب من لسعاته.

***

كيف أقول؛ إني أفتقدك وخطواتك تتراقص داخل قلبي.

***

في غيابه أعود كائنًا غير مرئي.. أختبئ وراء الصمت وألاعيب الخيال.. أستكين وأنتظر عودة شوقه؛ لتعطي ملامحي معنى.. وصوتي طعم.. وقلبي فرصة للفرح.. قد يتملكني السخط على غيابه غير المبرر، وأتوعده في خيالي بالخصام .. لكن اشتياقي له يقتلني.

***

بعد عشق طويل يتحول العاشقان إلى نصفين.. تنحني حوافهما في أشكالٍ متعرجة.. لكي تتداخل هذه التعرجات.. تتشابك لتكون شكلاً واحدًا متماسكًا.

***

التعود على العشق قد ينطوي على خطر فقدان الدهشة.. يصبح من المسلمات.. جددي الشعور بروحك في انفصالها عنه.. قد يحافظ هذا على دهشتك طازجة.

***

تلذُّذي بسحر الاندماج.. سحر العِشق الأبدي الذي يدفئ القلب.. ويطمئن الروح.

***

حافظي على قلبك لينًا.. حتى وإن صفعته قسوة الأيام.. حافظي على قلبك.. والعني قسوة الآخرين.. اجعليه في طراوة وردة.. حتى

وإن أصبحتِ تستمتعين بحلاوتها وحدك.. لا شيء يستحق أن يتعلم قلبك القسوة لأجله.

***

عندما تفتقدين الحُلم.. تفتقدين جزءًا من روحك.. تتشكل الحياة بملامح الضياع.. يصبح التشبث بأية قشة خيال.. وحدها الأحلام ما تمنح للروح نضارتها.

***

أعود وأختبئ بما يليق بلسعات الهواء وخوفي.. لم أتخلص من خوفي إلا لأجله.. وألعن ذلك.. فعشقه الذي حررني من خوفي أعادني إليه أكثر استسلامًا هذه المرة.. أكره أني كنت أنتظر أحدًا يمنحني الأمان.. لأني لا أستطيع أن أمنح نفسي إيَّاه.. أقرر أن الانغماس أكثر في خوفي؛ سيمنحني أمان الفريسة التي تمتنع عن الوجود في ساحات الاصطياد.

***

عندما ينفض الصخب.. ويحتل السكون مكانه.. تفاجئ نفسها خائفة.. ويهرب النعاس الذي كان يداعبها طوال اليوم.. يخفيها السكون أكثر؛ لأنه يجبرها على مقابلة ذاتها والوحدة.. تتنفس بعمق لتهدئ نبضات قلبها.. تحاول إيقاف ذهنها عن التلاعب بالأفكار..

تُغمض عينيها وتتكور كجنين.. نومتها المفضلة منذ الطفولة.. وتسكن تمامًا.

عندما تمتلئ نمسات الهواء ببرودة.. يشتعل الحنين.. حنين لبراءة الاكتشاف.. لذة الدهشة.. لخفقات الفرح عند اختبار الأفعال لأول مرة.

***

لا أستطيع أن أتخلص من حميميتي تجاه الأشخاص، والأشياء والتفاصيل.. أهيئ عقلي دومًا ليتولى القيادة، وأهدئ أحاسيسي تجاه العالم، وأتوق إلى التعامل بآلية، لكنني أعود وأشعر بكل شيء، وبمبالغة تُجهد قلبي وتُزحم ذهني.

***

على حافة الحلم أتأرجح.. لا أستطيع الطيران بخفة معتمدة على لهفتي كجناحين، ولا أستطيع أن أعود لسكون التوقف لأنه لم يعد مشبعًا لروحي.. أتخبط في ترددي الأبدي.. وأتوق دومًا لفعل الحسم الذي لا أملك أية قدرة عليه.

***

عندما يتعكر مزاجها.. ذلك الذي يشبه الأرجوحة في تحوله.. تقلب في صورها.. تفتش عن العيوب؛ لتؤكد لنفسها أنها قبيحة.. تحاول تقمص نظرة الذين يعتقدون أن عينيها جميلتان.. يعاندها مزاجها الذي يضخم من العيوب.. وترفض النظر للمرآة؛ لأنها عادت تكره وجهها وتخاصم ملامحه.

***

تخبئ عينيها في الغطاء.. حل البرد ولا مكان لبهجة عينيها.. الاختباء والسكون هما الملاذ.

***

قد تُفرح القلب نظرة واحدة.. تشتعل باللهفة.

***

ما أوجع الحنين حين ينفلت.. يضعف القلب، ويربك العقل، ويؤلم الروح.

***

تتصالح مع عينيها.. تواصل النظر إليها لتستمد الدعم.. دومًا ما كانت تتوحد مع ذاتها.. منذ أن كانت تقضي أوقاتًا أمام المرآة وهي طفلة..اكتشفت ذلك مؤخرًا .. وأصبحت تقوم به بوعي.

***

تعجز عن الابتسام.. وإن حاولت تعاندها عضلات وجهها..
تواجه البشر بعبوس لا إرادي.. وبعد وقت؛ تقرر أن تستمتع بعبوسها.. وتصل إلى درجة أن تقرر الاستمتاع بالقسوة على الآخرين.

***

تنظر حولها.. لا أحد.. تنسحب داخل ذاتها.. وحشة تنتابها.. سكون الوحدة ليس مطمئنًا بل مخيفًا.. أكثر قسوة من تشوهات البشر حولها.

***

يختبئ الموت في كل الثغرات.. يرمي بسهامه.. يتساقط من حولنا الرفاق.. نخاف الوحدة أكثر من العدم.. ونخاف أكثر حين يأتي دورنا في السقوط ألا يتذكرنا أحد.. وألا يتألم لفراقنا من استعذبنا معه الحياة.

***

اعرفي جيدًا مهما تتوهمي أن لا أحد سيعرفكِ كما أنتِ.. أنتِ لديهم انعكاس لأفكارهم وتصوراتهم وعقدهم.

***

لم يعد النوم واختلاق الأحلام ممتعًا.. ولم يعد السهر والانفراد بذاتها في السكون ممتعًا.. ولم تعد تستطيع الرضا بالعشق وحده.. ولا تستطيع

تحمل وطأة الخواء.. لم تعد تتحمس للحنين.. وتدين الذكريات.. هي فقط يأكلها الندم.

***

ما دمتِ تستطيعين الرقص والابتسام لعينيك في المرآة.. اعلمي؛ أن روحك تستطيع تجاوز عبثية الحياة.. بل التلذذ بها.

***

وسط زحام البشر؛ قد تجدين شخصًا يبهرك سحره.. لكنك تمضين في طريقكِ ويمضي هو.. لأنه لا سبيل للتلاقي إلا في الخيال.

***

تتجدد رغبتها في أن تتحول لطيف.. فأن تكون مرئية هذا أمر مجهد لها.. أن تحتويها عيون الآخرين.. ويحتجزون صورة ملامحها داخل أذهانهم.. أن تكون كيانًا ملموسًا أمرًا أكثر شقاءً.. فهي تنحبس داخل الآخرين كيفما يريدون.. ستجاهد لكي تتحول لطيف.. لعل روحها تتحرر.. وتصبح أكثر خفة.

***

الصدق إلى حد الوقاحة وجع.. لكنها أضعف من أن تضع وجهًا أكثر تماسكًا على تفسخها.

***

اللعنة على حياة ليس فيها سوى الترقب.. وانتظار الفرح الذي لا يأتي.

***

أنا محض طيف فلا تهتموا.. سأمر بينكم دون صخب.

***

رغم معاشرتها الطويلة لذاتها.. فإنها ما زالت تبتئس من تحولات مزاجها المتسارعة.. وتتمنى في أوقاتٍ كثيرة إسكات صوتها الداخلي .. وفي أوقاتٍ أخرى تمقت ذاتها، وتهرب من الانفراد بها.

***

في سعيها المحموم نحو حنان أبوي مفقود تنسى أن لا رجل يهوى التعلق بطفلة.. وأن الحنان أسطورة الحب الوهمية.. وأن لعبة الناضجين لا تخلو من مراوغاتٍ وحيل.. وأن صراحة الأطفال وتخوفاتهم تُفسدها.. وتُفقدها لذة اللعب.

***

تعرف أنها لا تجيد فعل أي شيء في الحياة سوى التصرف بطفولية.. وتحزن عندما لا يعاملها الآخرون كامرأة ناضجة.

***

معظم الرجال يرون المرأة فريسة.. ويبتهجون عند تمكنهم من افتراسها.. في حين أن معظم النساء يرون في الرجل أمانًا يحتمون به من وحش الوحدة.

***

تحتضن وحدتها وتذهب إلى النوم.. علّها تجد في سكون النعاس دفئًا.

***

الملل هو سمة الحياة.. نتحرك دومًا لننفض عنا الملل.. لنهرب منه مذعورين حتى لا ينهش في أعصابنا.. ويصيب أحاسيسنا بالعطب.. ومن يتملك منه الملل.. يقضي ما تبقى من حياته خاويًا.

***

بداخلها الطفلة تضحك بصخبٍ وشقاوة.. عندما تتصنع دور المرأة الناضجة.

***

تتمتع بجاذبيةٍ ما.. هي نفسها لا تعرف ماهيتها.. تحسها في اقتراب الآخرين.. تنتشي لذلك في البداية.. لكن عقدها وأمراضها تتحكم بها دومًا.. وتستسلم لمخاوفها في النهاية.

***

دومًا ما يمنعها سبب ما عن قطع الشرايين، والتلذذ بشكل الدماء المتدفقة بغزارة.. وبالقدرة على إنهاء حياةٍ مليئة بالملل.. لذا ستكتفي بإنهائها في الخيال.. والاستمتاع بسكون الموت.

***

تعيد تشكيل ملامح وحدتها.. لتكون أكثر ألفة.. مرة تعتبرها دليل قوة.. ومرة تعطيها طعم التحدي.. وعندما تنام في سريرها تتحول وحدتها لوحشٍ يفزعها.

***

تُوقف الأحلام.. تُهدئ نبضات قلبها.. تُحدد لذهنها نوع الأفكار التي تدور به.. تُجمد إحساسها بالأشياء والأشخاص.. وتُمرن حواسها على التبلد.. تختبئ في تفاصيل الحياة اليومية، وتترك الاهتمام بالدهشة والفرح.. وتأمل أن تعيش طويلًا.

***

عندما تُصبح تفاصيل الحياة أكبر من قدرتكِ على الاستيعاب.. انحبسي داخل ذاتك.. واكتفي بالمراقبة من بعيد.

***

استعادت بعض هدوئها.. أصبحت تنظر للمرآة.. تتأمل ملامحها.. تشعر بحلاوة عينيها.. تتصالح مع بعض شعيرات فضية.. تبتسم.. تعود

تحب وجهها.. بعد أن كانت تكره كونه بعض ملامح الآخرين التي فُرضت عليها.

***

تختبئ في سريرها القديم.. تتمنى أن تعود طفلة.. تُغمض عينيها وتنسى الأحداث الحالية.. تتواصل مع إحساس الأمان القديم.. ذلك الذي لم تلوثه حيل البشر.

***

أطلقت لشعرها العنان.. تزينت بالكحل كغجرية.. وضعت أحمر شفاه لامعًا.. ارتدت ما يحلو لها.. وضعت جناحين رقيقين وحلقت في الهواء.. وفرحت.

***

تختبئ في التفاصيل اليومية.. تختبئ في حكايا أمها القديمة والمعادة.. تختبئ في النوم.. تختبئ في الصمت.. تختبئ في صورٍ تتمنى أن تكون لافتة.. تختبئ في محادثاتٍ سطحية.. تختبئ من الآتي، والذي تخشى مواجهته.

***

لم تعد تعرف؛ لماذا تعشقه.. انتفت الأسباب المنطقية لذلك.. لكن العشق لا يعرف المنطق.

***

فقط لا تحتاجين سوى لحظة قوة واحدة؛ كي تنفُضي عنك غبار الانهزام.. وتدركي كم أنتِ جميلة، وتستحقي الأفضل.. وتتواصلي مع ما تراكم من لحظات تمرد مضت.

***

عندما تفتقد لذة العيش في الواقع؛ يصبح العيش في الخيال ملجأً.

***

ماذا يفيدك أن تشبكي الكلمات في كتابةٍ آسرة.. وأنتِ وحيدة.

***

أكره الكذب.. ليس لأنه عادةً لا أخلاقية .. ولكن لأني أصدق كل ما يقال لي .. ولا أستطيع فهم البشر إلا من خلال ما يقولونه عن أنفسهم.. وأتصورهم دائمًا صادقين، وأصنفهم داخل عقلي وقلبي على هذا الأساس.. ودومًا لا أفهم حاجة البشر للكذب؛ ليجملوا به عيوبهم، فالاعتراف بالعيوب فضيلة الأطفال.

***

الساذجون فقط؛ هم من يتخيلون أن باقي البشر يشبهونهم.

***

نبرات الهدوء في صوت أصدقائها تجعلها تتمادى في معايشة إحساس الطفلة.. تعشق هدهدتهم لها.. وحنانهم المخفي في مطاوعةٍ لاحدود لها.. لاتعلم؛ هل تُهدهدهم هي أيضًا؟.. تنام مطمئنة، وداخلها بعض الخجل من فكرة؛ أنهم قد يشفقون عليها من يأسها.

***

يُربكها الازدحام، لكنها تعيش بتزاحم الأفكار داخل ذهنها المشتت، ألفت التوتر حتى أنها أصبحت لا تقوى على الاستغناء عنه، وعندما تهدأ ملامحها وأفكارها، وصخب استجاباتها الشعورية تجاه العالم، ذلك يعني أنها وصلت لمرحلةٍ قصوى من الرضا عن الذات، أو التشبع ببعض الحنان الذي قد تجده مصادفةً.

***

لا عشق يخلو من شغف.. فالشغف هو ما يُبقي على العشق دافئًا.. هو ما يمنحه طعم الفرح.. ولذة الالتهام.. وإن اختفى الشغف يصبح العشق مثل طعامٍ بارد.

***

هي تتذوق الكلمات، يعجبها جرس الحروف وتحميلات المعاني، وما يمتعها أكثر أن ينسحب من يقرأ كلماتها إلى أرض اللذة، تُعطيه بعض متعة الطواف في الهواء بحرية.. وتجعله محملًا بحضورها للحظات.

***

الهدوء يتطلب أن يسبقه مزيد من الصخب؛ كي تشعري بحلاوته.

***

من يحفظكِ في قلبه، ويخشى عليك من لمسات الحزن، ومن هبات اليأس الساخنة التي تلهب وجهكِ، من يريد هدهدة هذه الوجنات حتى تشع حمرتها جمالًا، وارتشاف الشفتين حتى الثمالة، من يرتضي فقط أن يسند رأسكِ على كتفه، ويصمت ليمنحكِ الهدوء والسكينة في احتضانه لكِ وتشبثه بكِ، هو من يستحق أن تلمع عيناكِ له.

***

هدوء حنانه؛ يجعل الخدر يسري في جسدها، تفتح عينيها على اتساعهما، فقط لتملأهما به، تصمت طويلًا، لا داعي للحديث في حضوره، وترتخي ملامحها المشدودة دائمًا، وتلون الابتسامة خديها، فقط تحتضن عينيه، وترتشفهما بمهل، نظرتهما المشتاقة والساحرة، وتطوف على باقي ملامحه تقدم لهما طقوس الخضوع، وتنفلت روحها منها.. تطوف حوله؛ لتتلمس منه الدفء والسكينة.

***

تنتابها أفكار حول تحولات جسدها بفعل الزمن، لم تكن تهتم بها في بداية الشباب، كانت تعتبرها دليلًا على تفاهة بعض النساء، الآن قد

تقلب تلك الأفكار مزاجها، وتصنع لها فقاعةً كبيرةً من الكآبة والحزن، تُجاهد أن تتخلص منها بتلمس تفاصيل صورتها القديمة في أذهان من عرفوها شابة، وحينما تملُّ استسلامهم المأساوي لفعل الزمن هم أيضًا، تنظر إلى ابتسامتها، تكثف حلاوتها داخلها، وتقرر أن تكون وسيلتها لمحاربة الزمن بعنف.

***

هناك وقت لا تتحملها فيه الأماكن.. يكون عليها أن تهرب لفضاء أوسع.. يتحمل رغبتها في التحليق عاليًا.. تنحبس هي بين الجدران.. ومهما تُحاوِلْ لا تفلح أبدًا في أن ترضى.. خلقت هي لتطوف في الهواء.. رغم السنين الطويلة في انحباس الروح بين الجدران، فإنها ما زالت تحتفظ بحلم أن تكون طيفًا قويًّا طازجًا لحين استطاعة تحقيقه.

ما يشغلها هو؛ كيف تمنع تسربه إليها؟.. كيف تمنع إدمانها له قبل حدوثه؟ إدمانه وحش كبير تخشاه.. رغم أنها لا تفعل شيئًا سوى مزيدٍ من الاستسلام.. تترك الخوف يفترسها.. عندما توشك على النوم؛ تخاف من عشق يبعدها عن ذاتها.. يجعلها كقطةٍ تُلازمه.. يُنسيها كل ملامح خصوصيتها، ويجعلها تتوق للذوبان فيه وفقط.

***

سيأتي وقت تكتشفين فيه؛ أن الأشياء لن تعود إلى ما كانت.. لن يكون العشق ساحرًا وحلوًا.. واحتمالية تحقيقه ستتباعد، ولن يلفت انتباهك شابٌّ وسيمٌ تغلي مشاعره في صدره.. لأنك لن تكوني فتاته.. وسترتضين بما يليق بالعجائز.. قطعة شيكولاته تُدفئ قلبك.. رواية تعيشين فيها بخيالك.. وشخصيات ترسمينها؛ لتعيشي من خلالها ما فات.. ولم تتشبث به أصابعك.

***

تسعى للخروج من شرنقتها.. تفتح ثقبًا صغيرًا بطرف أصبعها.. يُبهر النور عينيها.. وتلسع الروائح أنفها.. تقمع خفقة القلب حتى تتبين الخارج.. يتصاعد الشوق داخلها.. تملأ ذراتها حتى تكاد تفيض.. تنتظر في توجس حدوث أية إشارة.. لتكمل تمزيق باقي الشرنقة.. تظل تنتظر مترددة.. ثم يهاجمها خوف يجعل لهفتها ترتعش.. ويعلو صوت من أصواتها الداخلية:

– ما عاد الخروج من الشرنقة يُجدي، فقد أصبحت الشرنقة جلدك الذي تحتمين به.

تعيد بناء الثقب الذي صنعته في لحظة تمرد، وتتمتع بإحساس التخفي وأمانه.

***

تنتابها دفقة إحباط.. لحظة استسلام بائسة قد تطول.. ليس لديها رغبة في فعل أي شيء.. جربت الحماس، والصبر، ودفع ذاتها دومًا لتقوم بالمزيد.. لا شيء يُجدي.. وحده الاستسلام هو ما يرضيها الآن.. إنه الاستسلام، وتوق الاختباء في آخر هو ما يريح دوران أفكارها المحموم.

***

لا تهتمي بمن يتطاولون على ضعفك.. يتخذونه حجرًا يقفون عليه ليزيدهم ارتفاعًا كما يتوهمون.. من يستهين بلحظات ضعفٍ إنسانية تنتابنا في بعض الأوقات الحرجة لا يستحق الشفقة على غبائه.

***

أحيانًا يضيق عليها قفص الوحدة.. لا تعود تتحمل قضبانه.. تشعر أنها تنغرز في لحمها.. تقترب أكثر لتخنق الروح، وتدمي القلب.. تتهيأ للمقاومة، ولا تستطيع أبدًا.. تظل ساكنة.. تتسلح بالصمت والاستسلام التام.. تنتظر أن تمر لحظة شعورها بوطأة الوحدة من تلقاء نفسها.. أو يطرأ شيء خارجها يُشعرها أن هناك جمالًا في أي شيء.. تأخذ هدنة.. وتبتسم لمبالغتها في تجرع لحظة وحدة بائسة.. وهي تعرف من داخلها أنها ستعود مرارًا؛ لتقتلها.

***

دومًا ما تستمد القوة من خيالها.. تنفض عنها أية أفكار سلبية.. ترتب ذهنها.. تتخلص من الأفكار الباعثة على اليأس.. وتلك التي تهتم بحصر خيبات الماضي.. كما تتنكر للأفكار التي تغوص في عمق الحاضر؛ لتكشف تعاسته.. تبقى فقط على خطط عملٍ للآتي.. تزحم ذهنها بها.. تُشعل خيالها بتصوراتٍ عن قصصٍ ساحرة، وتستحضر كل من ودت أن تكتب عنهم؛ ليعيشوا داخل خيالها بصخب.. وتبدأ في التلذذ بكونها ممتلئة بالحياة.

***

تعرف أنها حينما تضحك لملامحها في المرآة تكون قد استعادت براءة إحساسها بنفسها وبالحياة.. تتفاجأ حينما تستيقظ في الصباح، وتطل عفوًا على وجهها.. وتشعر أن ملامحها صافية، وعينيها جميلتين.. تعرف وقتها؛ أن نزعاتها النفسية قد انفضت لوقت.. سامحة لها بأن تستمتع بحلاوة روحها.

***

قال لها خيالها؛ هدهدي أنتِ نفسك.. بدلًا من أن تنتظري آخر ليفعل ذلك.. تلمسي وجهكِ وجسدكِ بحب.. فلن يحبك أحد ما لم تحبي نفسك.. تلمست جسدها في حنان.. وشعرت بأنها تتواصل مع ذاتها.. تقترب منها وتحتضنها.. هدأت.. وارتشفت ابتسامتها برضا.

***

هو يتشبث بتخبطها.. ينتظر أن تحسم أمر عشقها له.. وهي لا تعرف الحسم.. تترك نفسها لضربات الحياة تسيرها.. وتخشى أن تقترب من ذاتها حتى لا تعرفها على حقيقتها.

***

أن تتلهف إلى قول كلمات العشق التي تملأ روحك لأحدٍ تتوهم أنك تشتهيه.. أفضل من أن تتحصن بذهنك اليقظ محاولًا تهدئة روحك وتغييبها.

***

دومًا هي زائرة.. فقط ضيف ثقيل الظل لابد أن يخفف من خطواته.. لم تشعر في أي وقت أن لها جدرانها التي تخصها وحدها.. حتى ملامحها لا تخصها، فقد استعارتها من أناسٍ انتسبت لهم بالدم رغمًا.. بعض هواجسها وأمراضها ومخاوفها.. حتى ما تحبه في ذاتها ربما ورثته أو تعلمته من أحد.. هي كتلة من الجلد تجمع أشياءَ لا تخصها.

***

تتخبط.. لم تعد تعرف من يستحق أن يكون قريبًا منها ومن يستحق الهجر.. كل من حولها أصبح يؤذيها.. أصبحت في هشاشة ورقة شجرٍ جففتها حرقة الشمس.. تتكسر من لمسةٍ خفيفة.. لا تعلم متى ستستطيع لملمة ذراتها المبعثرة.. أو تحمل انسحاقاتٍ أخرى.

***

نظرة عينيها قوية.. تخترق بدون رحمة قلوب الآخرين.. أو على أقل تقدير تلفت أنظارهم.. ووجهها ودود.. يجعل العين تحب تأمله.. هكذا تحب أن تتخيل نفسها عندما تصفو روحها.

***

هي تريد منه أن يُهدهدها وقتما تكون طفلة حمقاء.. ويحنو عليها عندما يحزن قلبها.. ويبتسم عندما تطل بعينيها عليه.. ويحتضنها حتى تشبع من دفئه.. ويهمس في أذنها بكلمات الحب الناعمة وقت الشجار.. ويضعها في حضنه ويقرأ لها بصوته الرقيق.. ويقبلها بين وقتٍ وآخر.. تريده أن يقول لها دومًا؛ إنه يفتقدها ويشتهيها.. وحينما تدمع عيناها يمسح بيده دموعها، ويغرقها بقبلات الشغف.

***

رغم أنها تدعي القوة.. وتسعى لأن تكون المتحكمة في جزءٍ كبير من تواصلها مع الآخر.. فإنها تعلم جيدًا؛ أنها مازوخية في لا وعيها.. وأن أية محاولة من الآخر لاستعبادها أو التسيد عليها رغم أنها تنفر منها في الوعي.. فإنها تلاقي قبولًا وترحيبًا من داخلها.. وقد تتزايد هذه الحالة في غفلةٍ منها.. وتتحول إلى إدمان.. فقط عندما يعرف الآخر؛ كيف يداعب مازوخيتها ويوقظها من نومها العميق؟.. ويحولها إلى وحشٍ يتحكم فيها وفي ذراتها.. ربما تكون مازوخيتها ميراثها من

تاريخ استعباد النساء لقرون.. تعلمته أو انتقل في جيناتها الوراثية.. رغم مقاومته الطويلة يجد متنفسًا له مع رجلٍ يعرف؛ كيف يكون السيد المحب والعاشق؟..

***

دومًا ما تكون البدايات مفزعة.. لكنها على الأقل تعني أن شيئًا قد انتهى.. ربما لم يكن مفرحًا، وإلا لما فقد معنى وجوده.

***

تمضي في ترددها إلى أقصى مداه.. قد تتلذذ به.. تلك المراوحة التي تعني أنها لم تخسر أحد الاحتمالات.. لكنها تكرهه أكثر؛ لأنه يبعد الأرض من تحت قدميها.. ويجعلها لا تستمتع بالطواف أحيانًا.

***

الحضن تواطؤ بين اثنين على الاكتمال.. توق إلى التماهي في آخر تعرف إنه سيذيبك فيه.. سيبتلعك.. ويعيد تشكيل ملامحك.. وتختفي بعدها علامات الوحدة على جسدك.. وتصفو الروح.

***

خبئي وجهك بألف وجه.. فالعابرون لا يستهويهم الانكشاف التام.. تجذبهم أكثر لعبة الاكتشاف بأنفسهم.. لعبة إزالة الحواجز وتخطي السدود.. غطي ملامحك بسحر الغموض.. فهم يهوون اصطياد

الغزالة التي تركض هاربة.. وإذا استدارت وواجهتهم، وركضت باتجاههم يرتعبون.. يملؤهم الخوف الأزلي من قوة الأنثى البدائية ويركضون.

***

العشق مثلما يدفئ القلب يخيفه.. فالتخلص من وهمه يحتاج مزيدًا من الوجع.

***

في العشق يسحرنا الغموض.. يجذبنا إلى آخر رمق.. يجعل الروح تهفو.. والقلب يهتم.. والذهن يدور بالهواجس.. متعة الطواف في عوالم سحرية متداخلة ومبهمة.. ولذة انكشاف الأمر ببطء.. وعندما يزول الغموض يتطاير السحر بعيدًا.

***

تشتاق إلى لحظات عشقٍ تُعطي نظرات عينيها بريقًا.. ملت نظرة الخواء التي تراها كل يوم في المرآة.

***

أدمنت العزلة.. اكتشفت ذلك.. لم يصبها ذلك بالخوف، ربما لم تكن هي من اختارت العزلة في البداية، لكنها الآن أصبحت تستعذبها.. وتخاف الخروج من حدودها الآمنة.. ينزعج ذهنها ويمتلئ

بالأفكار.. وتظل في حالة تأهب عند التواصل مع الآخرين.. وتهاجمها الهواجس، والتفسيرات الكثيرة لأفعالهم.. أما حينما تقرر الاختباء.. تهدأ تمامًا.. يسكن قلبها.. وتجد روحها فرصة لتطير.. تستسلم لعذوبة السكون والتخفي.

***

أحيانًا ما يُطيل عمر العشق، هو خوف أحد ما من أن يترك قلبه خاليًا.. خوفه من خواء الروح، وفقدان الاشتياق.

***

بلا عشق تتوالى لحظات الحياة شاحبة.. تغدو كل الأحداث متشابهة.. والوجوه متكررة الملامح.. وتصبح دقات القلب ضربات مطرقة تحمل وجعًا.

***

بخطوات راسية تمشي ببطء.. ما عادت تخشى تحول مزاجها.. فطريقها الجديد الذي أتمت أولى خطواته يخصها وحدها.. ولا يعتمد على وجود آخر خارجها.. ستمشي فيه بثقة؛ لأنه رَهْنٌ بها وحدها وبسحر كلماتها.

***

لا تنزعج عندما تكتشف وحدتها الموحشة فجأة.. فقط بعض الإحباط.. وتساؤلات مندهشة؛ لِمَ لَمْ تسعَ لكسر هذه الوحدة؟.. ثم بعض السخط الذي يجعلها تبحث عن أصدقاء الماضي لتتواصل معهم.. تواصل منقوص لا يُشبع.. بل بالأحرى يزيد سخطها ويزيد وطأة الوحدة.. تنفض إحساسها بالتفكير في كتابٍ جديد مُغْرٍ لتقرأه.. وتهدهد ذاتها بأفكارٍ خادعة حول أنها أفضل في عزلة لا ترهقها نفسيًّا.. وينزاح إحساس الوحدة إلى أعماق العقل الباطن السحيقة.. ليطفو على السطح في اللحظات التي لا تحشر فيها ذهنها بكلمات الآخرين، أو بأحلامٍ بعيدة تسعى للمسها.

***

حين يوسوس لها شيطان الوحدة.. تخرج قلبها من بين الضلوع، ترى به وجوهًا استأنست بهم يومًا، ولحظات فرح ولذة، تمسح ما التصق بجدرانه من ذرات اليأس، وتترك فيه فقط ما يفرحها.

***

أن تستعيدي العشق في قلبكِ وبراءة البدايات الأولى، يعني أنكِ أقوى من خطوط الزمن على وجنتيك، ومن زحف الشعيرات البيضاء، بقلبٍ يتجدد يوميًّا، وروحٍ شفافة لا تحتفظ بعلامات القبح، وعينين لا تخفي سحرهما السنون، وإنما تزيد نظرتهما سحرًا ونعومة.

***

للعشق ألف وجه.. ويظل أعذبهم؛ هو الذي يتفق الطرفان على طريقةٍ واحدة في ارتشافه، والتلذذ به.

***

تترك آثارها الوثَّابة على أرواح من تقابلهم.. تعرف ذلك من ظلال الحنين لدى الآخرين، حتى وإن جاهدوا في إخفائها.. أولئك الذي فارقتهم طويلًا.

***

لملمي بقايا الروح المتناثرة.. اعجنيها في شكلٍ متماسك.. حافظي دومًا على بقائه.. إذا حدث وأصرت البقايا على التناثر اتركيها تطوف في الهواء، لا شيء يرمم انكسار الروح.

***

الجحيم ليس هو الآخر.. وإنما توقعاتنا منه.. وانتظارنا لفعلٍ يقوم به لنا.

***

الحزن لا يؤذي الروح.. إنما يعلمها قيمة التلذذ بلحظات الفرح.

***

في عمق وحشة الوحدة تشعر أن لا أرض تحتضن قدميها.. تغرق بدون مقاومة.. فقد ملت من مقاومة الوحدة وأصبحت تستسلم سريعًا.. قد تتلمس منه بعض الدفء.. تناديه في ذهنها.. وعندما يستجيب.. ويلاطفها بهدوئه العذب.. ويرسم ملامحها بنعومته الساحرة.. تشعر أنه أعطاها حياةً جديدة.. شكل فيها ملامحها بيديه.. وأعطى روحها توهجها.

***

الفقد الحقيقي؛ هو أن تفقدي ذاتك وسط زحمة التفاصيل.. أن تجدي نفسك ملزمة برعاية الجميع دون ذاتك.

***

روحها كوردة.. تنجرح من لمسةٍ قوية.. وتذبل سريعًا إن تعرضت لقسوة.. لذا فهي تتحصن بدروعٍ كثيرة تخفي روحها وراءها.. وحين تتوهم الأمان وتنكشف بروحها أمامه.. تتعرض لسقطةٍ أخرى.. تنجرح روحها، وتنهزم أمام سحرٍ وهمي؛ تتلاشى ذراته في الهواء، وتعود تبني دروعًا أشد.

***

العشق لديها حالة خيالية.. تعيش فيها تفاصيل ترسمها بنفسها.. تختار كل شيء.. ترسم صورة معشوقٍ حنون وقوي.. تركب ملامحه كيفما تحب.. وتتفنن في تخيل أفعال تسحرها.. وترتعب من أن يتحول عشقها إلى تفاصيل حسية.. حتى لا يتشوه العالم الآسر الذي خلقه خيالها.

***

تلك المسافة التي بين النهاية وبداية أخرى هي ما تتضح فيها الرؤية.. تكون عيناكِ قادرتين على رؤية البشر دون ألوان الأقنعة.. تظهر دواخلهم الحقيقية في عينيكِ التي ملأهما الرعب.. وتنخلع أقنعتهم مع كل تشبثٍ منكِ بهم.. يصبحون عرايا إلا من بعض النور في داخلهم.. أو الظلمة.. يدفعك الهلع إلى الالتصاق بمن حولك ويفر من لم يكن حقيقيًّا.

***

تعيش بالخوف.. ظل ملازمًا لها منذ الطفولة.. أحيانًا تتغلب عليه وتمشي مشدودة القامة.. في خفة طيف.. وقتها تكون كل الحياة رهنًا بحركتها الرشيقة.. لكن الخوف يتغلب، ويجعلها تتكور داخل ذاتها كجنينٍ يكره أن يُولد.

***

بدون دروعٍ تصبح أحاسيسنا متوهجة.. لكنها تنطفئ سريعًا من كلمة تذمر.. وتنجرح قلوبنا المفتوحة من خطوات عابث لا يكترث بما تفعله خطواته المتخبطة واللامبالية بها.

***

تلعن توترها وانطوائيتها.. يفسدان لحظات مهمة في حياتها.

***

يبدأ الخوف من الفقد مع ظهور بوادر عشقٍ في الأفق.. عندما يكون هناك أحد ما تتشبثين به.. وترتعبين من فكرة فقده.. يمنحنا العشق الهلع مثلما يمنحنا السلام.

***

تنجذب فقط لمن يقسو عليها.. تطوف حوله في خدر.. تستسلم لسحره.. لا تفهم لما يخطف روحها الأقوى.. لكنها تتلذذ بالانسحاق.. بالتماهي في كيان أكبر يمحو ملامحها.. ويعيد تشكيلها كجزءٍ منه.. لا تتذوق لذة العشق إلا في تماهيها مع كيانها الأقوى.. ثم تجبر على لملمة ذراتها المبعثرة بعد أن يلفظها ببرود.

***

نخوض وسط ركامٍ من عبث.. خطواتنا متخبطة.. نتلعثم في النطق.. وأجسادنا تهتز من فرط الإجهاد.. ندور في دوائر مفرغة.. ولا نستطيع الخروج من هذا الركام الموحش.. فكل حركةٍ متخبطة تجعلنا نغوص فيه حتى الأعماق.

***

هو يمقت الخيال.. لا يعترف إلا بما تحتويه حواسه.. هي تعيش في خيالها كفقاعةٍ مخملية تحميها من بؤس الواقع.. هو لا يعلم أنه إذا سكن خيالها سيُشبعها ذلك إلى حد الامتلاء.. لكنه يُفضل أن يشعر بها بين أصابعه.. هي تعرف أنه سيأتي إلى فقاعتها مستسلمًا لذا لا تتعجل مجيئه.. وتتلذذ بمشاهدة اشتياقه ينمو.

***

تُمتعها لعبة المناجاة.. تُحب أن تمسك بخيوط اللعبة بين أصابعها.. عندما تنفلت الخيوط تعرف أن الأمر يخرج من يديها.. وأن سحرًا ما تسلل إليها في غفلةٍ منها.. وأن من أشعل داخلها لهب العشق سيُصبح فرحها وشقاءها.. إلى أن تفك سحره بتعويذات أنوثتها المتمردة.

***

تدور في تقلباتها المزاجية.. تشعر أنها دائرة جهنمية لا آخر لها.. تراكم سخطها على الجميع؛ ليصبح كومة كبيرة من السخط على

الذات.. تود لو تستطيع الفرار من جلدها والتحرر.. الطواف كذرات في الهواء لا تحتويها حواس.. تتذكر أن التخفي في اتساع الكون ليس من صفات البشر.

***

حينما ينعتق وحش الحكي من محبسه الطويل يتحول إلى ساحرة مبهرة توزع ذرات الفرح اللامعة على الجميع.

***

تحتار.. لِمَ يختنق العشق داخل خيالها فقط.. لِمَ لم تستطع معايشته على أرض الواقع؟.. ربما لأنها لا تسمح لتلك التي تنحبس داخلها بالخروج.. حينما تطل برأسها تقمعها.. أو لأنها تجبن حين يبدأ العشق في التجلي في ممارساتٍ واقعية.. تخاف أن تسلم أمرها تمامًا.. تخاف أن تحطم حصونها، وتترك أرضها ملكًا لأحد.. تفضل أن توحي دومًا بإمكانية الهروب في أية لحظة.. ليرتعب من يشاركها العشق.. ثم يمل ترددها ومراوحتها بعد وقت ويهرب هو.. ليعود العشق حلمًا خياليًّا.. لا يتحقق بيديها.. ولا تنعتق من أسر لذته المشتهاة.

***

أنت لست مخيرة في أي شيء تفعلينه في حياتكِ.. كل شيء مرتب له مسبقًا.. فأغمضي عينيكِ وارتاحي.. واستسلمي لانزلاقة قدميكِ

إلى الهاوية.. واستمتعي بصوت تهشم عظامك.. وبفرط الألم.. وانسحقي في الزاوية كومة من عظام مهشم.. وملامح ممزقة يصعب تجميعها.. وبقايا روح.

***

هي تسعى دومًا إلى التحرر.. ترتعب من القيود والحواجز.. تنقبض روحها وراء الجدران.. وعندما تخرج للهواء العذب ترتعب أيضًا من اتساع مجال الرؤية.. وتخيفها برودة الهواء، فتنحبس داخل حدود جلدها؛ لتلتمس الأمان.

***

تُريده أن يُشعلها بحرارة قلبه.. يجعل النيران تتوهج.. فالهدوء قد يُثلج القلب أحيانًا.

***

دومًا لا يعلم أحد أن سبب غضبتها المفاجئة؛ هو حاجتها للحنان.. وشعورها بالوحشة الذي يظل يتصاعد ويمتلئ داخلها فيجعلها تلجأ إلى ملاذٍ ولا تجده.

***

تلجأ إليه.. يضمها بحنان.. يطير أفكارها المزعجة بهواء أنفاسه.. يلملم روحها بأصابعه الرشيقة.. كما يلملم شعيرات تطايرت حول

وجهها.. بلمسته الهادئة تنتشر السكينة في ذراتها، وتعود لا تخاف من أية أفكار مزعجة تؤرق روحها.

***

تصل للسلام عندما تعيد التواصل مع شخصية الكاتبة داخلها، وتجعلها تتسيد على باقي الشخصيات التي تزدحم فيها.

***

هو من أحب طفولتها المفرطة.. وتلذذ بخجلها وتوترها.. هو من اعتبر إغماضة عينيها من الخجل.. وتلعثمها في نطق الكلمات.. والتخبط في تحركاتها من فرط تأثرها بحضوره.. مبعثًا للذة.. هو فقط من انبهر بعيوبها التي تخجل منها واستقبل جنونها بهدوئه العذب.. وانفتحت معه خبايا روحها.

***

الاستحواذ على كل حواسه هو ما يشغلها طوال الوقت.. حينما ينشغل عنها تتصاعد نيران الوحشة في أحشائها.. تُريده أن يعيش بها كل يومه.. ولا يلتفت لأية إلهاءات أخرى.. وحينما يفعل تتراكم الغضبات داخلها.. وتظل تدور حول نفسها إلى أن يعود اهتمامه مشتعلًا.. هي تريده ممتلئًا باللهفة والشغف.. ومستعدًّا لاحتوائها في

حضنه متى تشاء.. لتغمض عينيها مطمئنة أنه يحوطها بحنانه.. علّه يفهم.

***

تطمئن عندما تشعر أن هناك آخر يُخزن صورتها في خياله.. يستدعيها ليفرح.. ويشتاق إلى سماع صوتها.. ويرتشف كلماتها بمهل كظمآن يجد مشروبه بعد سعي.

***

تعلم أنها لم تنضج عاطفيًّا.. وأنها تقف عند حدود الطفلة.. لذا عندما تتشابك الأحداث.. كل ما تحتاجه هو أن تنام في هدوء.. تتكور صامتة.. تهرب من مصدر الفزع وراء حوائطٍ ثقيلة.. وتنتظر أن تنحل الأمور دون جهدٍ منها.

***

أحيانًا عندما ينفك القيد؛ يكون قد أفسد الرسغ الذي التف حوله.

***

عندما تشعر بالثقل في روحها.. عندما يكون الانجذاب لأسفل أقوى من قدرتها على الطواف.. تعرف أن لا شيء سُيخفف أثقالها إلا

مناجاة عشق تمارس فيها السحر المدفون داخلها.. وتتخفف الأثقال.. وتحرر جناحيها لتطير.

***

تتجاهل الأرقام التي أضيفت إلى عمرها.. تتجاهل بعض الشعيرات البيضاء.. حتى أنها لم تعد تتحمس لقطفها من جذورها.. وترهل بعض الأماكن في جسدها لم يعد يزعجها.. تنسى كل آثار خطوات الزمن الثقيلة التي انحفرت عليها.. تقرر لنفسها أنها ستكون مرنة في الأيام المقبلة.. حتى لا تنطبع عليها آثار أقدام الزمن في هجومه الشرس.

***

من عمق وحشة الوحدة ظهر لها نوره.. كلمات ناعمة تمسح على خديها.. تجفف دموعًا ساخنة.. تعيد لوجهها طراوته ولروحها خفتها.. كلما عبر لها عن هوسه تسقط الأثقال.. تشعر أنها على وشك أن تطير.. يسري خدر كلماته في ذراتها وتفضل البقاء حوله.

***

لا تخافي من أن يقسو قلبك.. ارتعبي أكثر من رقة القلب.

***

عندما يناديها الغرباء باسمها؛ تنسى أنها تكره هذا الاسم الذي لم تختره، والذي اعتبرته يومًا ما لعنة حياتها، تشعر أن له طعمًا مختلفًا..

يتعدد بتعدد نيات البعض.. لكنه في كل الأحوال لا يصبح ذلك الاسم الذي يؤرقها.

***

عندما تصل إلى مرحلة الانتشاء بكلمات العشق.. والتلذذ بمشاهدة الآخرين يتقلبون ولعًا دون رغبةٍ حقيقية في المشاركة.. تعرف أنها وصلت إلى مرحلةٍ أعلى من الوحدة والاختباء.

***

أحيانًا يكون مرض الجسد هدنة من معركة الحياة.. محاولة لرمي الأحمال التي تثقل كاهلك.. والتلذذ بإحساسٍ قصير بالراحة.. وإظهار الضعف الشديد دون شعور بالخجل.

***

في طفولتها كانت تتخيل أنها تعيش داخل فقاعةٍ زجاجية.. تمنع عنها اقتراب البشر.. تجعلهم لا يستطيعون لمسها.. أو إلحاق الأذى بها.. بعد ما كبرت أصبحت هذه الفقاعة حقيقية.. لكنها ليست من زجاج.. وإنما من نسيجٍ متخيل تختبئ وراءه، وتعود لا تخشى الأذى.

***

يعرف جيدًا أنها ترتبك سريعًا.. يعرف ما يوترها وما يطمئنها.. يدعي أنه لا ينتوي إيذاءها.. ويتفنن في إرباكها.. يختار كلماته بعناية

لتنغرس فيها.. لا يكتفي.. يحشد أكبر قدر من الكلمات التي تنغرس عميقًا.. يضع قناع البراءة، وهو يتلذذ برؤية ترنحها.. يشعر بتفوقه كلما زاد جنونها.

***

تمحو تصوراتها عن نفسها بممحاةٍ سحرية.. ترسم صورةً جديدة.. تعطي ملامحها نضجًا أموميًّا.. تتوارى صورة الفتاة المشاكسة.. تُرضي ذاتها بتخيلات عن تشكل الروح وتبلور الوعي.. وبعض رتوش منها الرزانة والخبرات.. تُجاهد في أن تكون صورتها الجديدة مرضية.. تأخذ وقتًا حتى تتعود على صورتها المصطنعة.. لكنها تعجبها أكثر من القديمة؛ لأنها تخلو من أحكام الآخرين، ومن أحلامها الطفولية.. ومن سحر الخيال.

***

هي في المنتصف.. ما بين الاستكانة للعزلة.. وشغف الاختباء عن عيون الآخرين المتلصصة.. والشعور بمتعة التخفي وهدوئه.. وما بين الرغبة في الانكشاف.. في أن تضيء وتبهر العيون.. فقط عليها أن تذهب إلى ما تريد دون إغواء الاحتفاظ بجميع الاختيارات دون حسم.

***

ترن ضحكتها.. تندهش لسماعها.. فقد افتقدتها كثيرًا حتى أنها نسيت؛ كيف تكون..

***

عندما تبدأ الغرق في اكتئابها العميق؛ يبدأ الإحساس بالعجز يتصاعد.. تشاهد المقربين لها يتباعدون.. تتسع المسافات بينها وبين الآخرين.. تتلذذ بعجزها.. لكنها تسخط على عجز الآخرين عن انتشالها من غرقها.. تتمنى لو تمتد يد قوية لسحبها خارجًا.. تنتظر ولا أحد يهتم.. تتعلق بعيونهم التي تشاهدها في حيادٍ وهي تغرق.. وتنزل عميقًا، وهي لا تتذكر أحدًا.

***

في لحظة الانهزام لا تهتم لما يحدث لها.. تستسلم فقط.. تريد أن تريح عقلها من دوران الأفكار.. وقلبها من خفقات الوجع.. تريد أن تستكين تمامًا حتى تعود لا تحس بأي شيء.. تتكور كقطعة لحمٍ صماء لا حياة فيها.. وتنظر لما كانت تفعله في السابق باندهاش.. تتعجب؛ كيف امتلكت قوةً على فعل أي شيء؟.. تتماهى تمامًا مع ما يخططه الآخرون لها.. وتسكن إلى ما لا نهاية.

***

عندما تتبنين تصورات الناس عنك، والتي ليست لها علاقة بما أنتِ عليه.. تصبحين مهزومة.. تظلين تطابقين تصوراتهم عنك مع حقيقتكِ.. وإن فشل التطابق تصدقين أنكِ كما يرونكِ تمامًا.. وتلصقين عليكِ كل صفاتهم السلبية.. وتتقمصين الضعف؛ لترضيهم أو تتقي أذاهم.

***

التعود على الحزن أعمق هوة يمكن أن تنزلق فيها قدماكِ دون أن تدري.. نسيان الفرح مرعب.

***

استكانت للعزلة.. أصبحت أكثر أمانًا لروحها.. جهد الخروج منها يفوق طاقتها على الفعل.. لم تكن هي من حشرت روحها بين الجدران.. وليس باستطاعتها مفارقة تلك الجدران بدعوى أن في الخارج فرحًا وصخبًا.. حتى أنها أصبحت لا تهوى الصخب.. وتخاف من هوس الفرح.

***

تستيقظ بعد ليلةٍ من الكوابيس، وهي محملة بكم هائل من الخوف يملأ قلبها.. تحاول التخلص منه لكنها لا تستطيع.. تظل تستعيد

تفاصيل الأحلام المزعجة، والأحاسيس التي أثارتها داخلها.. ويبدأ يوم جديد محمل بكل معاني الأسى.

***

في طريقك للتعرف إلى ذاتك.. تكتشفين أشياءَ أخرى كثيرة تزيدك غموضًا وتخفيًا.

***

حين تبدأ نوبة جنونه في التلاشي.. تكتسب ملامحه نعومة.. وتفقد نبرات صوته حدتها.. يخرج صوته هادئًا وعميقًا.. ويقترب منها.. تشعر هي بكل ذلك قبل حدوثه بلحظات.. يخبرها حدسها.. خاصة بعد أن يسود صمت قصير بعد أن تكون قد تشاغلت بفعل أي شيء يمنعها من تغذية نوبة جنونه بكلمات غاضبة.. تستسلم للمسة يديه الخجول بابتسامة أم.. وتملأ قلبها بحفنةٍ كبيرة من الصبر والحنان.. وتعرف أنه طفلها الذي لا تستطيع أخذ نوبات جنونه على محمل الجد.

***

ما بين سكون التشتت، وصخب الاستسلام؛ تعاني التمزُّق.

***

عندما تفرغين من التصالح مع نفسك؛ وقتها فقط تستطيعين التصالح مع الآخرين

***

الطمأنينة.. ذلك الإحساس الذي يجعل الهواجس تهدأ.. والخوف يفقد معنى وجوده.. والقلب يخفق في لذة الهدوء والبطء.. والعقل يستريح للحظات عن الغربلة المتوحشة لأفكاره.. من يمنحها لحظات الطمأنينة؛ هو من ينحفر بجذوره عميقًا في روحها.

***

الابتعاد قد يفيد في تخليص نفسك من بقايا الآخرين العالقة بك.. فتطفو صافية

***

حينما تستطيع التعامل مع الوحدة.. حينما تروضها؛ كيف تشاء.. وتستطيع تغيير مزاجها إلى ما تريد.. حينما تلهي الطفلة التي تسكن في داخلها.. ترضيها بأشياءَ مفرحة، فتسكت عن البكاء وتطمئن.. تندهش من نفسها، وتتمنى أن تستطيع فِعْل ذلك دومًا

***

معه لا تكترث لأفعال الزمن.. لا تعود تخشى من خطوات اللون الأبيض المتسللة إلى شعرها.. أو خطوط الجلد في خديها، وحول

عينيها، والتي تعلن سنها وتراوغ ابتسامتها لإخفائه.. تعرف أنه يراها طفلةً تكبر بين أصابعه الحانية.. مثل أطفاله الذين منحته إيَّاهم.

***

الحب بالنسبة لها أن تطمئن.. وتنزع توترها بمهل.

***

حين ترتدي التفاصيل زيا قاتما، تصبح كل الأشياء بلا لون، تفقد لذتها، أو بالأحري تفقدين أنت لذة تذوق أي شيء، ليس تكرار الأفعال اليومية هو ما يربكك، وإنما الخوف من ألا تتكرر، الخوف من أن يختفي أمان رتابة الأيام، من أن تفقدين طمأنينة الاستيقاظ، وسلام ضجة الأطفال من حولك، ولذة الانشغال المنهك للأعصاب، وأن تعيدين ترتيب يومك بما يليق بحدث محزن، إن زاد في قسوته وتحقق سوف تتحملين وحدك عبء كل شيء.

***

كانت تعلم جيدا أن قسوة الأب لن تنمحي من عقلها.. وإن نجحت في محو الذكريات، أو مغالطتها لتفقد قوة حضورها.. ليس فقط لأنه يصر رغم السنوات الطويلة على قسوته الفجة.. بغباء شخص لا يعلم

أن أخطاءه فادحة.. ولكن لأن الغصة التي تسكن فيها لا تمحى أبدا.. كما وتعطي لذكرياتها الجميلة شرخا هائلا .

***

تعرف جيدا أن بروحها فجوات تزعجها.. لكنها لا تعرف كيف تسد تلك الفجوات.. كيف تتيح لروحها أن تصفو.. تفتش عن ما يسعدها وما يؤلمها ولا تفهم أبدا كيف تشبع روحها.. ربما تتشوش روحها من كومة الأشياء الزائفة.. الاحتياجات اليومية.. أهداف عملية.. إرضاء الآخرين.. اللهاث وراء أحلام صعبة.. ربما ما يشبع روحها أشياء بسيطة لا تنتبه لها.

***

حين تبدأ نوبة جنونه في التلاشي.. تكتسب ملامحه نعومة.. وتفقد نبرات صوته حدتها.. يخرج صوته هادئا وعميقا.. ويقترب منها .. تشعر هي بكل ذلك قبل حدوثه بلحظات.. يخبرها حدسها.. خاصة بعد أن يسود صمت قصير بعد أن تكون قد تشاغلت بفعل أي شيء يمنعها من تغذية نوبة جنونه بكلمات غاضبة.. تستسلم للمسة يديه الخجولة بابتسامة أم.. وتملئ قلبها بحفنة كبيرة من الصبر والحنان.. وتعرف أنه طفلها الذي لا تستطيع أخذ نوبات جنونه على محمل الجد.

***

في ذلك الطريق الطويل. الذي تختارينه بمزاج رائق.. حين تخبو كل الأصوات التي تلهيك عنه.. ويخفت صخب الخارج.. وتصفو روحك.. ويتلذذ ذهنك بالهدوء.. تجدين ذاتك وقد تحررت من شوائب التداخل مع أشياء لا تعنيها.. وعرفت معنى العيش بسلام معه.

***

تقتحم البرودة هدأة الليل.. تسكن ما بين اللحم والعظم.. تستوطن الجسد في شراسة.. فقط نظرة حانية منه.. ومسة شفتيه على جبينها تجعل الدفء يستعيد أرضه المفقودة.. ويسري بمرح في دمائها حتى يكاد ينسكب من خديها الذين اشتعلا احمرارا.

***

تنفض عن جناحيها التراب.. ظلا مختبئين طويلا.. حاولت التحليق بهما على سبيل التجربة.. لم يعد يجدي ذلك نفعا.. فقد استلذت السكون في قاع الأرض.. فلم تعد جناحاها تقوى على حملها.. وهي افتقدت خفتها الساحرة.. كما أن جناحاها أتلفتا من طول السكون.. حتى أن الطيران أصبح مجهدا.

***

نفي البشر خارج ذهنك هو عقابهم اللطيف على كونهم قساة، قد يستحقون المزيد، لكنك لا تستحقين أن تهدري دقائقك الثمينة على السخط ومحاولة الانتقام، لا أحد يستحق أن يطأ منطقة اطمئنانك الخاصة بثقله.

***

أحيانا يضيق عليها العالم كضيق شرايينها بالدماء التي تجري فيها، تصبح الحياة طرق ملتوية تخنق روحها، تنعصر في تعريجاتها دون أن تستطيع الصراخ، قد تدمدم ببعض السخط، تقنع روحها بالثبات وتنهار في غفلة منها، تتحول وجوه البشر إلى مسوخ مخيفة وآخرين تكون وجوههم دوائر مسطحة بلا ملامح، وجميعهم لا يقدمون لها سوى الخيبة، تتضاءل حتى توشك على الاختفاء، وتتكسر شظايا مبعثرة.

***

عندما تضيق علينا الهاوية، تتحدد لكل إنسان مساحته الخاصة جدا، التي تضيق به، ويصعب عليه وقتها أن يفكر في أن يشاركها مع أحد، يتحول حلم التماهي في آخر عبث، وعشق آخر جنون، يضيق الإنسان بنفسه حتى يكاد يكره جسده الذي يحتويه.

***

يحزنها ما تصادفه من شر في البعض، رغبة مجانية في الإيذاء، تتضخم وقتها عيوب الآخرين في عيونها، وتلوم نفسها على تعرضها للإيذاء، وكأن هشاشتها وعجزها عن رد العدوان هما السبب، يتضخم السخط في داخلها، ينصب معظمه على طريقتها في عيش الحياة العبثية، وحين يتحول بكل ضخامته نحو الآخرين الذين خربهم صراع البشر على موطئ قدم، تسترد جزءا من تقديرها لذاتها، فاختيار الطريق الآمن أفضل من الاستسلام لمجزرة العنف اليومية للحياة.

***

أحيانا تستحق روحك أن تتركيها تطوف.. دون أن تثقليها بأحمال الخوف.. تطير بجناحين يتجددان دوما من توقك إلى الخفة..تلذذي بالخفة.. تلك لحظات نادرة.. لا تعبأين فيها بخوفك وثقل البشر.

***

أحيانا تنفد قدرتها على التحمل.. تشعل سخطها أفعال كانت تتجاهلها بصبر.. لا تعلم ما يجعلها تفقد صبرها.. قد تفتش سريعا في الأحداث القريبة ولا تفهم.. فكل ما حولها خانق يدفع إلى انفجار

السخط.. يتوقف الأمر دوما على قدرتها على تحمله.. وسعيها إلى تحويل واقع بائس إلى واقع ممكن احتماله.. وتوفير بقعة ما هادئة لها ولذويها رغم فوضى الحياة.. ليس فقط لأنها دوما مطلوب منها ذلك.. ولكن لأنها تحب كونها ساحرة الأوقات العصيبة.

***

أصبحت تألف جدران المنزل والأثاث.. تعرف أنهم أكثر حنانا عليها من البشر.. تندهش من استنكار البعض لذلك.. الخروج للشارع أمر ينطوي على خطورة.. ليس أكثرها عربة تدهسها.. وإنما أناس يدهسونها بثقل أرواحهم.. يمزقون هدوئها بخبث إحساسهم بالحياة.. يرمقونها بعيون تعري روحها.. تستنطق ملامحها لتكشف ضعفا تداريه بمرارة وبضحكة مرتعشة.. التعامل مع البشر يحتاج قوة تخلت عنها راضية.. لا تحتاج إليهم وإنما إلى سلام يدفئها.

***

الكآبة حشرة قاسية.. تفهم أنكي تتقززين منها فتلتصق بوجهك في تحدي.. وحين تهشينها بعيدا في أسي وإصرار.. تلتصق أكثر وتراوغك حتى تلمس وجهك وتستبيحه.

***

تعرف أن جنونها فوق العادة، لا تستطيع التحكم فيه، وتتوقع ألا يقبل الآخرون به، يبدو مألوفا لها انزعاجه من جنونها، وضيقه بنوباته المتكررة، المدهش هو أن يستسلم، وفي لحظة خدر منه يقرر أنه يحب جنونها ويتلذذ به .

***

يلملم تبعثرها.. يجمع بأطراف أصابعه ذراتها التي تناثرت من تفتتها الأخير.. هي تجيد التفتت والتبعثر.. والارتحال مع الهواء.. ما لا تجيده هو أن تتكون مرة أخرى.. تتركه يكون قطع منها.. يشكلها كما يحب أن تكون.. فاتنته ومعشوقته.. تستسلم لملامحها الجديدة التي رسمها لها.. وتعشق ذاتها التي لملم تبعثرها بحنو.

***

حين تتزاحم ذكريات القسوة.. تتراكم لتكون جدارا.. يصطف بوحشية بينهما، قد يتوهمان في لحظات أنهما يقتربان من جديد، حتى يوشكان على الانعجان.. لكن الجدار يفصل بينهما، يحسانه.. في رقة حبل حريري يستخدم للشنق، وفي سمك سور حجري عتيق يفصل بين المدن.

***

لا يقدر على تحمل رتابة الأيام سوى من استطاعت روحه أن تهزم شغفها بالحياة.. واستسلم خياله لحرب لم يعد فيها بطلا.. وعلا خوفه على تلهفه لتنفس هواء نقيا لا يشاركه فيه أحد.

***

وحدهم الأبطال هم من ينفضون عنهم الأثقال.. يتخففون.. لا يتعلقون بشيء.. يستطيعون الطواف متى شاءوا دون لحظة تردد.. يرتدون أجنحتهم الجاهزة دوما للتحليق ويدورون في الهواء.. يتصاعد صخب ضحكاتهم.. حتى يؤذي آذان المثقلين.. هؤلاء الذين يلتصقون بالأرض بغراء خوفهم وترددهم.

***

حين تستسلم تماما للضغوط.. وتسلم كل دفاعتها.. حين تتوهم أنها هشة كفراشة.. تكتشف قوة ما.. ليست بالضرورة قوة التحدي والمواجهة..التي تتكسر بفعل قسوة كل ما هو محيط بها.. إنها قوة المرور بين الشقوق الرفيعة.. موازنة الخسائر والرضا بأقلها.. تحويل البؤس إلى ذرات من الفرح .. اكتشاف قدرة العيش بداخله دون أن تتكلس روحها.. قوة عيش المتاح وتحويله إلى عالم ساحر بفعل الخيال.

***

إنها القدرة على التخلي.. تلك التي تمنحك القوة.. التخلي عن الإحساس المرهف بالعالم.. التخلي عن العالم.. التخلي عن كل ما يربطك به.. التخلي عن الهواء الذي يدخل رئتيك.. التخلي عن الدماء التي تجري في شرايينك.. التخلي عن تشابك ذراتك.. وتركها تتحرر.. تتبعثر.. تنتشر في الفراغ.

***

تلك الأيام المحايدة.. التي لا يحدث فيها شيء يخطف الروح.. التي تمر برتابة ثقل خطاها على قلبك.. تلك الأيام تحسب من عمرك هباء.. يزداد فيها جلدك شحوبا.. وترسم عليه خطوط التجاعيد.. كعلامات سكين جارحة.. أيام تودي لو تقصينها..لكنها مرت على جسدك كقطار.. ولا سبيل للتراجع.

***

يلح علينا الماضي أحيانا بسخافته.. يهزأ منا.. تراوغنا ذاكرتنا عنه..والتي قد لا تتفق مع ما حدث فيه.. ما نخزنه عن الماضي في عقلنا هو ما يشوشنا.. وليس الماضي نفسه.. ومحاولة التحقق مستحيلة.. تفتيش ذاكرات الآخرين الذين عرفناهم للتعرف على

أنفسنا من خلالهم وهم.. لأنهم هم أيضا يخزنون الماضي وفق أهوائهم.. تقفي أثرنا مستحيل.. محيت خطانا.. ولم يبق سوى زيف في الذاكرة.

***

ما عاد شيء يدهشها.. هذه إحدى علامات الكبر.. الدهشة رحلت مع أشياء كثيرة ملت البقاء.. تبذل مجهودا في مط شفتيها للابتسام.. يعادل مجهود السير برشاقة.. ومجهود الاستيقاظ بشكل يومي.. وترك نوم يفرحها أكثر من معايشة الأيام .

***

يذكرك الألم الجسدي دوما بشرط وجودك.. يفسد وهم أنك تعيش بخفة.. يربطك دوما بذراتك المادية التي تشيخ، وتمرض، وتعطب بمرور الزمن.. يسجن خيالك في حدود الجسد.. وحوائجه..

***

لا يعلم أن هدوءه تجاه تلهفها يطفئ آخر نقطة ضوء بينهما.. يقذف بكرات الثلج على سخونة دمائها.. ربما يعلم ولا يهتم.. تجاهله لشغفها يحوله لسخط مكبوت..يتزايد.. يثلج في داخلها طراوة قلبها.. ولا يهدأ حتى يخرج ليمتلئ المكان حولهما ببرودة موحشة.

***

عرفت أين تحب أن تختبئ.. كانت تنكر ذلك مرارا.. متوهمة عن نفسها صفات ليست لها.. تختبئ هي دوما في المنتصف.. تلك المساحة الضيقة ما بين مكانين.. ما بين اختيارين.. ما بين حياتين.. لا ترضى تماما.. فتقتنص السلام لتهديه لروحها.. ولا تترك ما هي فيه وتخلعه عنها.. خوفا من أن يؤذيها التخلي.. يعريها من الأمان.. تختبئ في مساحة المنتصف التي تضيق عليها.. وتسحق جسدها.. فقط لتتعلق بأمان يكفيها لتتخيل أنها تتنفس.

***

تستيقظ بين لحظة وأخرى.. حين تستفيق تهدأ الضجة في رأسها.. تشعر أن رأسها كان مملوءا بصخب.. كل ما عايشته خلال اليوم.. الأحداث المأساوية اليومية.. استجابات الناس المتضاربة.. صور لأشلاء ودماء وأطفال.. تحمل كل ذلك في ذهنها وحين تغفو تتصارع في الداخل.. تثقل لا وعيها المثقل منذ زمن.. تجبر نفسها على الاستيقاظ لتلتقط أنفاسها وتعود لتصارع كل ذلك.... وحدها.

***

في بعض الأحيان ينفلت جنونها.. لا يرضيها الروتين اليومي.. يملأ شراينها بالملل حتى تفيض.. ولا ترضيها كل تلك المحاولات لكسره..

تغيير أمان الروتين يزعج استكانتها وكسلها.. العزلة شرنقة تضيق عليها لكنها تخاف من أي ثقب يمر الضوء من خلاله.. فالضوء يزعج عينيها المستسلمة.. يسرع نبضات قلبها البطيئة.. يقلق روحها التي استكانت للافعل.. وتعود تضيق بتكرار اللحظات اليومية التي تدور في دوائر.. ولا تطيق انفلات جنونها.. ولا ترضى بتمزيق شرنقة العزلة الآمنة....

***

سيرة العشق أصبحت تصيبها بالضجر.. كلمات الآخرين عنه ممجوجة.. قد تنتابها السخرية أيضا.. فخيالات كثيرة أقرب للتحقق منه.. وجود الأشباح.. الجنيات الطيبات بعصا سحرية.. لكنه العشق.. ذلك الخيال الجامح الذي يلاحقه الجميع.. ولا يبين.. كنجمة عصية أضاءت للحظة وانطفت.. خيال ينحشر في خلايا أدمغتنا لكنه أبدا لم يتجل.. لم يكتمل حضوره.. ظل قابعا في مخبئة السحري البعيد.. خيال الموهومين بحلم التماهي.. بالرغبة في الذوبان حتى آخر ذرة.. لم تعد لديها القدرة على تمثل ذلك الخيال الجامح.. ولا الوقود الذي يبقيه مشتعلا وباعثا على الدفء.

***

قلبي يحتج.. بضربات متخبطة يؤدي عمله.. وكأنه موظف مل روتين عمله اليومي.. فقرر أدائه بأقل جهد ممكن.. دقاته توجعني.. أشعر بها تسري بضعف في الخلايا المحيطة.. أنفض كل المخاوف.. وأحيانا أعيشها بوهن.. استسلم أو أقاوم.. لم أعد أعرف لأية اختيار أميل.. غالبا أفضل أن أتخلى عن الحماسة مثل قلبي.. لا شيء يستحق عناء بذل الجهد.

***

قد تنتابها بين وقت وآخر أفكار حول تحولات جسدها بفعل الزمن، لم تكن تهتم بهذه الأفكار في بداية الشباب، كانت تعتبرها دليل على تفاهة بعض النساء، الآن قد تقلب تلك الأفكار مزاجها، وتصنع لها فقاعة كبيرة من الكآبة والحزن، تجاهد أن تتخلص منها بتلمس تفاصيل صورتها القديمة في أذهان من عرفوها شابة، وحينما تمل من استسلامهم المأساوي لفعل الزمن هم أيضا، تنظر إلى ابتسامتها، تكثف حلاوتها داخلها، وتقرر أن تكون وسيلتها لمحاربة الزمن بعنف.

***

تحاول إخفاء ملامح الأنوثة.. عرفت بحدسها منذ كانت صغيرة أنها عبء.. حاولت التخفف منه.. لكن جسدها غافلها وفاض بها..

تحايلت على إخفائها بالملابس.. بالتخفي.. بالنظر إلى أسفل دوما أثناء السير.. بالتجاهل.. مجرمة هي.. وعلامات الجرم ظاهرة على جسدها.. ولا سبيل للهروب من الإدانة.. لا سبيل

***

عندما تتسع الهوة بداخلها.. هوة الخواء.. لا شيء يحتفظ بطعم مناسب.. يظل تكرار للأفعال يدور في الفراغ، لا فعل قادر على زحزحة تلك الصخرة القابعة فوق شفتيها.. الابتسام يليق بالفرح.. لاشيء قادر على محو الخواء.. كل تلك الأشياء التي تتمسك بها في محاولة لجلب فرح زائف تختفى داخل الهوة.. أصبحت هي نفسها هوة على وشك ابتلاع أية بادرة للفرح.

***

حين توقف الشعر الأبيض عن الزحف على مقدمة شعرها الأسود الطويل فرحت، فقط بضع شعرات أرعبتها، لكنها ربما أشفقت لحالها فتوقفت عن التكاثر، حين تفرده في لحظات الصخب القليلة، يفرحها كونه مازال أسودا على حاله، وأنها لا تري تلك الشعرات القليلة إلا حين تحدق جيدا فيها.. حين ترقص، في محاولة لتحسين مزاجها المتعكر دوما، تردد داخلها أنها تبدو أصغر من سنها الفعلي، ربما يتوهم البعض

أنها لم تكسر عقد الثلاثين، لم تفقده، مازالت فكرة التمسك بأذيال الشباب تداعبها، رغم ادعائها المتكرر أنها تجاوزت تلك العقدة، وأنها تقبلت الدخول إلى فترة النضج بقلب هادىء.. ليس فقدان الشباب هو ما يرعبها، وإنما فقدان البريق في عيون الآخرين حين ينظرون إليها هو ما يؤرقها أكثر..

***

تتشابك خيوط العبث.. ككرة من خيوط الصوف تلاعبت بها..
تتعقد.. لا يزعجها كون الحياة ذرات متشابكة من العبث.. ما يزعجها أكثر الملل المصاحب.. كونها تعودت على العبث ولم يعد يأت بجديد.. لم يعد يعبأ بمفاجأتها..حتى المآسي لم تعد تفاجئها.. فقط تزيد مللها من تكرار نفس المآسي بتفاصيلها الدقيقة..السر يكمن في الاتيان بجديد..

***

حين يستنفذ العبث جميع حيله.. فيعود يكررها مرارا.. هنا يكمن التعذيب.. شعورها أنها مثبة بمسامير إلى لوح خشبي.. مجبرة على مشاهدة العبث وهو يتلوى على مسرح الحياة.. يعيد تمثيل مشاهده المكررة دون توقف.. في دورة لا نهائية من الملل.. الذي لا يفعل شيء سوى مراكمة الشحوم حول جسدها البائس.. وإجهاد الجلد الذي

يلفه حتى يترهل اعتراضا.. وإضعاف حواسها التي لم تعد تهتم باستعمالها من الأساس.. حتى الخيال لم يسلم.. أصبح يتفنن في إعادة إنتاج الملل في أحلام تتراوح ما بين السعى إلى الهروب منها أو الاستسلام المكره لمشاهدتها.

***

تستقبل نسمات الهواء الباردة بنهم.. رغم أنها نسمات خفيفة لا تهزم حرارة الهواء تماما.. إلا أنها تستقبلها بفرحة من يستقبل زائر غائب منذ وقت طويل.. تتفتح مسام جلدها بشغف.. وتغمض عينيها نصف إغماضة لترتشف تلك البرودة.. رائحة الهواء ولسعته.. والغيمة المتخيلة.. لطالما أشعل فيها مجيء الخريف حنينا عميقا.. يمتد إلى ذكريات الطفولة البعيدة.. إلى تلك البساطة في التمتع بذرات الحياة.. إلى نعومة أيام تمر بين يدي طفلة مندهشة.. إلى اكتشاف كل شيء بلذة.. حتى خيالها انصاع لذلك وجلب لأحلامها تلك الذكريات الممتلئة بالفرح.

***

قطرات من الحنان تكفي للحفاظ على طراوة قلبها.. لري وردة روحها.. تلهف صاف لاتشوبه رغبة.. ولا يفسد نقاوته اشتهاء.. ذلك

الحنان نادر.. منحة لا يعطيها إلا من امتلأ قلبه به.. ومن اعتادت روحه عليه.. ومن استطاع أن يمنح أكثر من نهمه للأخذ.. من لا تعميه ذاته عن رؤية الآخرين.. من يترك مساحة داخله لآخر يؤنسه.. من لا يشغله ضجيج روحه عن الالتفات لوحشة الآخرين الموجعة.

***

ما ينحفر عميقا في ذاكرة الروح تلك المعارك التي لم ننتصر فيها..ربما لأن طعم الهزيمة أكثر مرارة من أن ينمحي.. فيبقى كعلامة على انكسار.. ويظل هناك توق شديد لإعادة الكره.. ربما يتحقق الانتصار ويزول طعم المرارة.

***

تعيش بالخوف.. ظل ملازما لها منذ الطفولة.. أحيانا تتغلب عليه وتمشي مشدودة القامة.. في خفة طيف.. وقتها تكون كل الحياة رهنا بحركتها الرشيقة..لكن الخوف يتغلب ويجعلها تتكور داخل ذاتها كجنين يكره أن يولد.

***

الحنين إليها، ذلك الإحساس المراوغ، الذي ينفلت بغتة، لا يعلم على وجه الدقة ما الذي أفلت الحنين من محبسه، لسعة الهواء البارد التي

لامست جلده، أم مرت هي بخطواتها العابثة في عقله، مبعثرة ذكرياته التي تخصها، أم هي امرأة لا تنسى، فقط قد تخبو، تختبيء بين ثنايا ذاكرته، لكن بين وقت وآخر تظهر، تنبعث رائحتها بكامل حضورها، تداعبه، ذلك الانسجام الساحر بينهما يرواغه هو أيضا، عذوبة حديثها الهاديء، استكانتها وقت فورة إحساسها به، صمتها أحيانا حين لا تجد ما تقوله، جنونها العابث وقت الصخب، ضحكاتها الطفولية، غنجها.. لا شيء يقوي على حبس حنينه إليها طويلا.

***

النبش في الذكريات ليس آمنا تماما.. ليس كنبش القبور.. وتفحص عظام الموتى.. إنه نبش في حقل ألغام.. تركه عدو وحشي لم يرض إلا بتدمير كل شيء خلفه..كل مشهد تتذكرينه ينفجر في وجهك.. يفتتك أشلاء.. لكنك لا تتوقفين.. تحبين التفتت حتى النهاية.. رغم أنك في بداية الطريق كنتي ترتعشين خوفا وتتحسسين بقدمك بحذر خشية أن توقظي الذكريات الملغومة.. ثم تحول الانفجار المميت إلى لذة في تعذيب روحك التي أصبحت تستعذب الألم وتتذوقه بمهل.

***

إنها القدرة على التخلي.. تلك التي تمنحك القوة.. التخلي عن الإحساس المرهف بالعالم.. التخلي عن العالم.. التخلي عن كل ما يربطك به.. التخلي عن الهواء الذي يدخل رئتيك..التخلي عن الدماء التي تجري في شرايينك.. التخلي عن تشابك ذراتك.. وتركها تتحرر.. تتبعثر.. تنتشر في الفراغ.

***

في ذروة لسعة الهواء البارد، لا شيء يضاهي لحظة اختبائها فيه، إغماضة عينيها تكثيفا لاستمتاعها بإحساس الأمان، الخدر الذي لا يكتفي بالانتشار في ذراتها، فيداعب روحها، التحليق في مكان سري لا يتسع إلا لها وهي ذائبة فيه، الدوران المحموم لذراتهما لتكون كيانا واحدا مكتملا.

***

تسعى للخروج من شرنقتها، تفتح ثقبا صغيرا بطرف أصبعها، يبهر النور عينيها، وتلسع الروائح أنفها، تقمع خفقة القلب حتى تتبين الخارج، تتصاعد اللهفة داخلها، تملأ ذراتها حتى تكاد تفيض، تنتظر في توجس حدوث أية إشارة، لتكمل تمزيق باقي الشرنقة، تظل تنتظر

مترددة، ثم يهاجمها خوف يجعل لهفتها ترتعش، ويعلو صوت من أصواتها الداخلية

– ما عاد الخروج من الشرنقة يجدي، فقد أصبحت الشرنقة جلدك الذي تحتمين به

تسد الثقب الذي صنعته في لحظة تمرد، وتتمتع بإحساس التخفي وأمانه.

***

بحضوره يكتسب كل شيء طعمًا.. تمارس تفاصيل الحياة بلذة.. تستيقظ مُتلهفة.. تشعر بخفة وهي تسير.. قلبها ينبض نبضات متسارعة.. وروحها تسكن.. وعيناها تلمعان.. يلاحظ الآخرون لمعة عينيها لدرجة تُخجلها.. لا تعلم كيف تخفي لمعة عينيها، ورنة الفرح في صوتها حتى لا يكتشف بريقها أحدٌ سواه.

***

كيف نتعرف على الوحدة ولم نشعر يوما بالامتلاء، كيف يقتلنا الملل ولم نحيا يوما بدونه، كيف نتذوق الحزن ولم يداعب الفرح شرايين القلب، كيف نتخيل جنة الإشباع وهي لم تكن يوما حقيقة ملموسة.. ذلك الامتلاء بعد جوع طويل للرفقة، لذة الإحساس بلمسات

الشغف، تجرع اللهفة في أقصى مراحلها، حشو الروح بروح أخرى تناسب مقاسها تماما، كل تلك الأوهام التي تكتفي بمداعبة الخيال وتعذيبه.

***

أخاف خطوات الزمن العابثة.. التي لا تترك شيء في مكانه.. التي تترك علامتها تنحفر على جلودنا.. وتغير من يقيننا بأن هناك سعادة مخبأة.. التي تنذر برحيل أحباءنا الذين شبعت أجسادهم من وطئات أقدام الزمن الثقيلة.. رحيلهم يقلب ملامح الحياة.. ويهيئ لنا مكانا في خانة الراحلين الجدد.. ويتبخر الأمان كندى الصباح.. كخطفة حلم مرح..

***

سألت نفسها في بلاهة "هل هناك مخرج من الملل؟".. بذلك الصوت الداخلي الذي لا يسمعه أحد سواها.. وهي تعرف جيدا أن لا إجابة عليه.. ذلك السؤال الساذج.. وكأن تاريخ العالم موصوم به.. الملل.. التكرار الأبدي ولا النهائي.. الشمس تشرق كل يوم.. وتغرب بنفس رتابة الفعل.. نتنفس بانتظام.. نأكل ونجوع.. حتى جلودنا تترهل بانتظام.. كما حدث لكثيرين قبلنا.. لا جديد.. كفي عن الانتظار.. كل اللحظات محسوبة منذ الأزل.. وستمر كما مخطط لها.. وما عليك

إلا الانصياع.. وقضاء حياتك مثلما فعل مئات من الآخرين قبلك..
تأمل علامات الكبر وانتظار النهاية.. بنفس بطء انتظار الآخرين..
أنت حتى لا تملكين تصور عن ماهية الفعل الذي سيهزم الملل..
بالأحرى لا فعل يهزمه.. إنه سر الحياة.

***

الصدأ عندما يصيب القلب يكون أشرس من صدأ المعادن.. البرودة تفتت ذرات القلب.. يبدو متماسكا من الخارج وحين تلمسه يد يتبعثر.. تعلوه طبقة من مرارة.. تخلفها ساعات الوحدة التي تمر بمهل.. تجف أنسجته ببطء.. وتهرب دماؤه بلا عودة.. الصدأ عندما يصيب القلب يخنق أوردته..يصبح وجوده داخل صدرك عبئا مضاعفا.. وتتحول دقاته إلى خبطات ألم لا تمل من التلاحق.. الصدأ لا حدود لانتشاره.

***

كعلبة محكمة الإغلاق.. كصندوق ليس فيه مخرج.. كمتاهة شديدة التعقيد.. هذه هي الحياة.. تضيق كشرنقة متوحشة.. تكاد تلتصق برقبتك.. وتمنع الهواء.. لا جدوى من محاولة الإفلات.. ولا جدوى من الاستسلام.. ولا جدوى من السكينة.. الانغماس فيها عبء..

والاستسلام للاختناق ضعف.. قد تأتي لحظة سحرية تستطيعين فيها إيجاد مخرج.. بإنهاء اللعبة برمتها.. بالانقلاب على قواعد اللعبة وتحطيم الصندوق.. بالتلاشي.

***

الدموع أصبحت قريبة.. تنهمر لأقل فعل يربكها.. أوقات تفتعل البكاء لتؤثر على أطفالها وتجعلهم يهدئون دون أن تتحرك.. لكن تأتي الدموع غزيرة.. لا تستطيع إيقافها.. تتورط في بكاء عميق يطول.. تتصاعد الأوجاع من الداخل وتتضخم.. لم تكن تفهم سبب البكاء المفاجئ الذي ينتابها.. لكنها عرفت فيما بعد أن وعاء روحها قد امتلأ عن آخره.. أصبح يفيض عند أية نكزة خفيفة.. انحشرت الأوجاع به حتى أصبح يختنق بامتلائه.. يقذف محتوياته باندفاع سيل.. لم يعد وعاء روحها يحتمل المزيد.. ولا تعلم هل سيقدر على التخلص من امتلاءه أم سيظل على ثقله وتختنق روحها بأوجاعها.

***

كيف يستطيع أن يعتصر قلبها بين أصابعه ذلك من تظن أنها تحبه.. كيف يقدر على أن تتحول لمساته الناعمة إلى خبطات مطرقة.. يدق بها رهافة روحها.. كيف يقدر على المضي بعيدا وهو يعلم أن دموعها

تنهمر وأن قلبها يتوقف عن النبض خشية تلقى دفعة الألم القادمة بقوة.. كيف يتخفف من إحساسه بها فقط لينزع الثقل عن روحه.. كيف تطاوعه قدميه على أن يخطو خطوات مبتعدة وهي توشك على الالتصاق به.. كيف لا يتلقف نظرات عينيها المتلهفة.. ولا يصل إلى أذنيه أنين خوفها من فقدانه.. من يمتلك قلبا محمي من كل ذلك لا يستحق نبضه.

***

ليس للوحدة نقطة ضعف نتغلب عليها من خلالها.. إنها وحش محصن جيدا.. يعرف كيف يتناول قلبك على مهل.. ويلتهم روحك ببطء.. ويبقيك هامدة مستنفذة.. لا سبب معروف يستدعيها.. إنها شبه مقيمة في المكان.. لا تعنى لحظات اختفاؤها سوى وهم يمنعك من رؤيتها.. فرح زائف يتبدد سريعا.. الوحدة أبقى.. وأضمن.. وحش تعودت على قسوته.. وعرفت كيف تتحملين ضرباته.

***

ليس المحزن هو انحفار التجاعيد في وجهها، أو تحول الشعر لبياض الثلج، المحزن أن يمر الزمن بخطواته على قلب تصفر الرياح في جوانبه، على روح تصارع الخواء، على ذرات ملت من انتظار دقائق الفرح،

ذرات تجعدت من الإهمال أكثر من تجعدها من ثقل خطوات الزمن، الجفاف ليس بفعل مرور الزمن، وإنما بمروره دون اقتناص لحظات الامتلاء.

***

راضية عن صورتها الذهنية عن نفسها أتمت التخاصم مع صورتها الحقيقية، حين تنظر للمرآة تشعر بالألفة تجاه ملامحها، تلك الألفة التي نحسها تجاه شخص غريب رأيناه كثيرا، تلك الصورة المنعكسة في المرآة لا تخصها، إنها لامرأة لم تعد تعبأ بها، فقط هي تهتم بتلك التي في داخلها، تلك التي تحركها حالاتها المزاجية كأمواج متدافعة، تلك التي تنهشها الوحدة، لكن لا تتغلب عليها تماما، التي تنظر للحياة نظرة جديدة كل يوم، ويقتلها الملل. تلك التي لا ترضى عن شيء ويرافقها السخط، لكن تتحول لحظات فرحها النادرة لاحتفالات صاخبة، ترقص فيها نبضات القلب. تلك التي تفعل أشياء كثيرة، وتجد الوقت الكافي للشعور بالخواء. تلك التي أيقنت أن لا تماهي بين روحين، قد يحدث في دقائقها المعاشة، وأنه حلم مراوغ لا يمل من ملاحقة خيالها، وإغواءه.

***

لن يملأ الحنين فراغ الوحدة، لن يسد هوتها العميقة، بالأحرى هو من يزيدها اتساعا، ويمعن في إظهار وحشيتها. الحنين وحش أكثر قسوة، لا يكتفي بمضاعفة إحساسك باللاجدوى، بل يعذبك بكل الاحتمالات الممكنة للفرح، والامتلاء، والحنان، والتي ضاعت بلا رجعة.

***

في وقت العشق تصفو الروح، تتلاعب بخفتها، لا تصدق أنها تخلصت من الأحمال، وأن أثقالها رحلت بلا عودة.. تطير في الهواء كعصفور تعلم أن يرفرف بأجنحته للتو..لا تعود تطيق السكون، يصبح الطيران والطواف حوله همها الوحيد.. تنطق عيناها دون صوت.. وتتراقص دقات القلب في إيقاعات لا يعرف سرها سواها.

***

الجوع الأبدي للحنان لا يخصها وحدها، إنه أشبه بمحنة تخص النساء، إحساس دائم لا يختفي، وفي لحظات الضعف يتوحش، ينقض عليها ليبدد ما تبقى من قدر ضئيل من التماسك، يفتتها ذرات، يبعثرها، كل محاولات لململة ذراتها تفشل. في برودة الشتاء يستعصي عليها التماسك أكثر، ترتعش روحها من فرط البرودة، يصبح الدفء حاجة ملحة، والروح كعصفور مبلل في وجه الرياح، تسري البرودة في دماءها،

تلتصق بقلبها فتات الثلج، لا ملاذ، الحنان خيال حالم تقتله برودة استحالة تحققه.

***

بالنسبة لامرأة متقلبة المزاج.. تدور كل يوم جديد معركة قاسية.. تصارع وحشي بين أمزجة مختلفة.. المزاج الذي يملك ثقلا وأسلحة فتاكة هو ما يسود.. غالبا ما ينتصر مزاج الكآبة.. له أسلحته القاضية.. يجيد التلاعب بسلاح الوحدة.. يعرف جيدا كيف يضخم من وطأتها.. في المقابل مزاج الفرح لا يصمد طويلا.. لا شيء يمنحه الحياة.. لم تعد التفاصيل اليومية تجلب الفرح.. بالأحرى تقف في صف الكآبة بإصرار وقح.. حتى يتوارى الفرح في تخاذل وتعطيه الكآبة الضربة القاضية في غرور.

***

تائهة ولا طريق للوصول.. لا هدف ولا وجهة.. أيام تتساقط كأوراق في روزنامة.. انتهت فائدتها.. تتكرر تكرار تساقط نقاط مياه من جرة مشروخة.. صوت تساقطها رتيب ومزعج.. يعلمك أن أشياء تحدث ولا تحدث.. لاشيء يتغير سوى انحفار التجاعيد على وجهك البائس.. اتخاذها عمقا قاسيا كشق سكين.. وغزو الشيب الذي لا يتوقف على

شعرك.. وتحول وهج عينيك إلى الذبول.. باستثناء تلك الأشياء التافهة كل شيء يتكرر إلا ما لا نهاية.. وكأنه سيظل دوما يخنق شراييننك بتكراره..

***

العشق حين يكون عصيا يصبح ساحرا.. كلما ابتعد عن ملمس أصابعك كلما تلهفت له روحك.. كلما كان المعشوق بعيدا معاندا وقاسيا كلما اشتعلت النار في قلبك.. والتهبت شراييننك من فرط سخونة الدماء.. ذلك القوي المفرط في خشونته يحتجز قلبك بين أصابعه.. لا يعبأ بإفلاته.. ربما يتلذذ بسحقه بهوادة.. وأنت أيضا تتلذذين.. تفرطين في تخيل انسحاقك فيه.. معه.. له.. وتنتشين لانفراط ذراتك بين أصابعه وتحت وطأة ثقله.

***

بدونه تفقد الحياة لذتها.. يصبح الهواء ضربات سوط تلسع وجهك.. والمكان موحش كمحطة قطار مهجورة.. والقلب كعلبة فارغة احتلها الصدأ واستسلمت للتآكل.. بدون نزقه الطفولي وغضبه الوقح يصبح حنانك بلا هدف.. بدون رقته وعذوبته وكلماته الآسرة تتوهين في أرجاء العالم.. بدون حنانه المتخفي وراء حزم زائف لا معنى للتنفس.

***

حين يتردد صوته فجأة في أذنها.. يستدعيه ذهنها دون إرادة منها.. تعرف أنه ما زال عالقا بمعنى ما داخلها.. كلماته ما زالت تطربها.. ارتباكه.. كلماته الناعمة.. مبالغاته في وصفها.. شغفه الطفولي حين يريد التواصل معها.. كل تلك الأشياء لم ترحل تماما.. بقت لتهديها لحظات حنين مفرحة.. وموجعة.

***

حين تغفو الروح.. تستسلم لنعاس عميق.. لا شيء يستطيع إيقاظها من غفوتها.. لا فرح ينفذ إلى الداخل.. والحزن يفقد بريقه.. تصبح كل الانفعالات جوفاء.. لا طعم لها.. سكون عميق تتشبثين به.. أو تجبرين عليه.. سكون عميق لا نهاية له.. تسقطين فيه.. مغمضة العينين.. لا تسمعين صوتا.. ولا تعبئين بتماسك ذراتك.. فتتركينها تتحرر وقت السقوط.. حتى يكون الارتطام.. إذا حدث.. آمنا.

***

غضبه يمحي حنانه.. ذلك الذي يختبئ وراء الكلمات.. لا يظهر بكامل حضوره.. لكنها تحسه يبتسم لها في وداعة.. لن يعلم أبدا أنها تفتش داخل صدره عن ضمة أب حانية.. وداخل كلماته عن هدهدة.. وداخل عينيه عن صورتها وهي طفلة خجلة.. لكنه يصر على استدعاء الأنثى الشهية فيها.. يصر على استبقاءها طويلا.. حتى حين تصرخ الطفلة داخلها من الوحشة.. وتحتاج للاختباء.. يقتطع لنفسه حق أن يكون طفلا.. وأن يتمتع بالهدهدة.. وأن يعبر عن غضبه حين لا تعود ممتعة.

***

ليست الروعة في أن تكوني محبوبة.. إنما في أن تتركي علامات فارقة في روحه.. أن تكون بصمات أصابعك مختلفة.. لمساتك فيها دفء.. عينيك محملة بشبق روحك.. ابتسامتك ممتلئة بعفوية طفولية.. كلماتك علامات لا تخطئها ذاكرته.. لا يخلط بينها أبدا وبين كلمات لأخرى.. أن تكون خطواتك نحو قلبه بطيئة.. هادئة.. متمهلة.. وواثقة.. خطوات من يعرف أنه ذاهب إلى ملجأه الأخير.. للسكون.

***

كلماته الناعمة هي فقط ما توقظ القلب.. من دونها يظل يغفو في سبات عميق.. لا تجدي معه كل محاولات الإطراء.. يرفض أن يصحو من نومه الثقيل ويهديها نبضاته.. تتركه وشأنه.. فنومه راحة لها . بدلا من دقاته المتخبطة. وإلحاحه على التواصل معه.

***

حين تفتقدين الحنان تصبح كل الأفعال سواء.. لا شيء يشبع روحك.. يصبح العمق فارغا مهما ظهر السطح مزدحما.. تكون انفعالاتك لحظات مؤقتة.. لا شيء يدوم سوى فقد طوييل.. ولهفة لا تنتهي لهدهدة حانية.. وجسد فقدت ذراته صبرها.. وقررت ألا تستجيب.. جفت ملامحه من شدة العطش.. توق عميق للاختباء.. في كيان آخر يرغبك بشدة.. لا يريد غيرك.. يراك كما لم تر من قبل.. تنفذين إلى أعماقه ويغوص في فراغ عمقك.. يملأه به.. ربما لن يوجد أبدا ذلك الذي يقوي على تخبئتك فيه.. على محاربة فراغك.. ربما سيظل فراغك شاهدا على مرورك العابر في هذه الحياة.. والذي كان مثقلا بالوحشة.

***

في نظره غير مقصودة إلى المرآة تجلت لها بعض الشعيرات البيضاء.. فوجئت بتواجدهم هكذا بشكل مفاجئ.. من أين أتوا في خلال أيام قليلة.. استبعدت أن تنتزعهم من جذورهم.. مثلما كانت تفعل حين بدأ الشعر الأبيض يتجلى بحياء.. من زواية أخرى اللون الأبيض له سحر الثلج.. حين ينتشر سوف يكون قلبها قد تثلج أيضا.. وستنظر إليه بلذة من وجد الشتاء ممتعا بعد صيف طويل محموم.. أنهك روحها من اشتعاله فسعت للتنعم بهدوء الثلج.

***

التعافي من العشق عملية شديدة التعقيد.. تظلي تهدهدين قلبك حتى يهدأ وينام.. وحين يستيقظ من غفوته بين لحظة وأخرى تعيدين الهدهدة كاملة.. تستعينين بأفكار محايدة.. بتفهم زائف وعقلاني.. حتى لا تضيفي وجع السخط إلى وجع الفراق.. تحملين نفسك وزر النهاية.. يكون ذلك أسهل في التحمل.. تلعنين غباءك وجنونك.. توبخين نفسك على ارتشافه لحد الثمالة.. وعلى تعلقك الشديد بوهم شاحب.. تقلبين هوسك بملامحه إلى حياد.. وتزيحين أثاره العالقة في ذهنك وروحك بلمسات خفيفة من أصابعك.. السير بمهل ضمان لبقاء الروح والقلب في غفوة.. حتى يلتئم الجرح.

***

ما يفزعها عند اكتشاف قسوته ليست القسوة بحد ذاتها.. وإنما عدم قدرتها على تحملها.. تأثيرها على تلك الخيالات الحالمة التي غرقت فيها.. والتي تبددت.. تلاشي فقاعة الحلم الوردي.. تحول صورته من رجل دافئ حنون إلى رجل يثور غضبا.. يناسبها أن تتخيله كطفل غاضب.. يخبط لعبته بصخب حين لا تمنحه المتعة المطلوبة.. وتخيل نفسها أم حانية تقبل خده لتعيد له هدوءه.

***

البكاء أم التبلد.. الوجع أم الملل.. خفقان القلب ما بين صخب الفرحة وثقل الحزن أم بطء نبضاته وخفوتها.. حين يكون عليها أن تختار تفضل هي الوجع على ملل يخنق روحها.. البكاء على تبلد يثلج عيونها.. الشعور بنبضات قلبها.. الذي ينتفض كعصفور متعب من الطيران.. على هدوء الدماء في أروقته الساكنة.. التقلب ما بين الفرح والحزن تمرينات للروح.. لكي تظل نابضة بالحياة.

كلماته ورود وزقزقات عصافير.. حينما تقرئينها ترتبكين أمام تلك الدفعة الهائلة من الفرح.. تقرئينها مرة ثانية وثالثة لكي ترتشفي حلاوتها بمهل.. تقفين عند كلمات بعينها.. هي ما تهز قلبك بصخب..

تجد مكانا في حنايا القلب والذاكرة لتسكن فيه.. لكنك أبدا لا تشبعين.. تريدين المزيد ليمتلئ قلبك المتلهف له.

***

التصالح مع ملامحها لحظة نادرة تنتابها.. تتقمص نظرة الآخرين عنها.. تقصقص تلك الآراء التي تتغزل فيها.. تجمعهم في منطقة واحدة في ذاكرتها.. تصدق في تلك اللحظة النادرة أن هذا الغزل حقيقي.. وأن لعينيها سحر ما.. تصر دوما على إنكاره.. وأن شعرها له تجعيده آسره.. وأن ابتسامتها تخطف العين بعفويتها.. تمتلئ بكل توصيفات الغزل.. تتشبع منها.. تتقمص نظرة الذكر وهي تنظر إلى وجهها كأنثى غريبة.. تنتشي .. للحظة نادرة.. بكونها أنثى جذابة.. بحسب ما يقول البعض.. تترك صورها سريعا حين تشعر بأن اللحظة أوشكت على الانتهاء.. حتى لا تعدد أسباب كراهيتها لملامحها.. وحتى تتجنب التفتيش عن ملامح الآخرين في وجهها البائس.

***

حين ينحشر هو في قلبك.. يمتلئ عن آخره بحضوره القوي.. وتضيق الشرايين بدمائها.. وتجزع روحك من وطأة التلهف.. حين تصل فرحة ملامسته إلى حدها الأقصى.. ويدفعك الشغف إلى ارتشاف أية ذرة

من تجلي له.. تصبح كلماته تعاويذ سحرية.. تتشبثين بها لمقاومة وحش الحنين.. حين تتحول نبرات صوته لشراب مسكر.. ترتشفينه حتى الثمالة.. حين يبلغ العشق حده الأقصى يتحول رغما عنك إلى وجع.. يفقد دفء حضوره ويشعلك كنار.. لا تتحملينها كثيرا فيصبح الانطفاء ملجأ.. يحميك من حرقة الاشتعال له.

***

كسيل من لهفة تنهمر.. تغرقه فيها.. يندهش من اندفاعها نحوه.. يرتبك.. تجرف اندهاشته الأولى والتردد.. تسحبه بعيدا.. تتساقط مخاوفه.. يلين كحجر فتته السيل.. وتحول لطمي دافئ.. يستسلم للانجراف معها.. أو هكذا تتوهم.. لكنه أبدا لا يقاوم تلك القوة في الانهمار التي تجعل الامتزاج ساحرا.

***

تولد من جديد في عيون من تحب.. تكتسب صفات لم تكن لها.. تتشكل على صور طالما حلمت بها.. تمارس الشغف وكأنه نهر .. تغوص فيه لأول مرة.. تستمتع بالذوبان فيه.. يشكلها من تحب كعجينة لينة.. تترك نفسها تتشكل بأصابعه.. تدمن السكينة في التماهي فيه.. تنساب كماء بين شقوقه.. لتسكن فيه.. تفقد حوافها..

وحدودها لتندمج في حدوده.. يصبحان معا كوردة انطوت أوراقها.. واحتضنت بعضها بعضا.

***

يبدأ العد التنازلي.. كدقات الساعة.. منتظم ورتيب.. لا نعلم أنه يبدأ منذ لحظة تركنا للرحم.. يبدأ منذ صرختنا الأولى في استقبال الحياة.. لا نعي ذلك إلا بعد وقت.. بعد أن يزول السحر.. ونقف وجها لوجه أمام السنوات المتراكمة.. تزعجنا كومتها الكبيرة.. يزعجنا أكثر ما تركناه وراءنا ولن يعود.. وما لم نتركه وأصبح ثقلا يؤذي ظهورنا.. يزعجنا كل شيء.. ما تركناه وما لم نتركه.. نتوق إلى التخفف.. من التجاعيد فوق ملامحنا.. من الدهون التي تخنق القلب.. من أثار الزمن فوق عظامنا.. من ملامحنا.. أن نصبح بلا ثقل.. كهواء.. لا شيء يعود.. ولا شيء يأتي.. فقط دقات العد التنازلي هي ما تواظب على الحضور.

***

لا تصدق أن في قلبها قسوة.. وحين يؤكد لها البعض ذلك تندهش.. تعرف فقط أنها لا تسامح أبدا من أوجع الطفلة داخلها.. تنفيه خارج

وعيها وكأنه لم يكن.. تنسى ملامحه وكأنها لم تنطبع في ذاكرتها وتتوقف ذكرياته عن التواجد داخل ذهنها.. يصبح لا أحد.

***

بروح طفلة.. وبملامح امرأة على شفا الأربعين أتناسى وجهي.. أحاول جاهدة ألا أقابله.. أجدد بشكل دوري طقوس التقبل.. تقبل خربشات أظافر الزمن على وجهي.. وعلامات أقدامه الثقيلة على جسدي.. أعدد كل المزايا التي أتمتع بها.. وأدعي أني راضية.. وفي لحظة خاطفة استسلم لخوفي.. حين أجبر على التدقيق في ملامحي.. حين أبدو كأنثى حزينة تتشبث بصور قديمة قدم سنين انحفرت علي.. وحين يغرقني الخوف ينحسر ..بعد أن يخلف لي مزاجا مشاكسا في الصباح.

***

الوحدة لعنة لا يمكن الفكاك منها.. تبدأ مع قطع الحبل السري.. مع أول صرخة اتصال بالحياة.. تتكون فقاعة الوحدة مع الزمن.. وتشتد قوتها.. لا أحد يستطيع النفاذ منها إليك.. لا أحد.. ربما تتوهمين للحظات أنها تبددت.. تلاشت.. فقط في لحظات يصنعها الوهم بالتماهي في آخر.. لكنها تعود وتحجب عنك الهواء البارد..تخنقك في

دائرتها الجهنمية..لتتكورين صامتة مستسلمة.. وإمعانا في التعذيب قد تتلذذين بها.

***

في الخيال، يمكنك اختيار ملامح أخرى لكي، توزيع الألوان كيفما تشائين، ارتداء جناحين ورديين والطواف، وعندما تملين الأجواء، ترتاحين على سحابة بيضاء، تنغمسين في نعومتها، تلمسين القمر بأصابع متلهفة، تتركين لشعرك الحرية في أن يتجعد، يتطاير دون خوف من نظرات مخترقة، تعيدين ترتيب مكانك بما يليق براحة لا تؤرقها هواجس المراقبة والتحفظ.

***

السير بمهل قد يكون ممتعا أحيانا أكثر من الطيران.. وتأمل ملامحه أفضل من تذوقها.. والتقرب إليه ببطء أجمل من الانغماس فيه.. والسكون في حضرته أفضل من الصخب.. وارتشافه ببطء خطوات ممتعة نحو الامتلاء به.

***

ذلك الوجع الخفيف في القلب.. الذي يذكرك أنه موجود هناك.. وجع اللذة لكونه حاضرا.. اللهفة له.. والتي تخجلين من أن تتضاعف

وتصبح شغفا يربكه.. ذلك الترقب لأي تجلي له.. ذلك الخيال الذي ينشغل بتصوره.. وبمحاولة مخاطرته عن بعد.. ذلك الفرح الذي يلاعب دماءك في الشرايين حين يبدي اهتماما ما.. نبض يراقص سكونك ويحيله صخب.. ويرمي في عينيك بريق الحياة.

***

حينما تنجذب لشخص ما فإنك تضع روحك بين أصابعه.. تنتظر أن ينتبه لها.. أن يكتشفها.. لكن قد يسوء حظك عندما لا ينتبه هو إلى وجودك.. لا يعرف من الأساس أنك تهتم لأمره.. فتصبح روحك كأرنب قفز بغته إلى أصابعه.. وانفلت.. كماء تسرب.. ولن تنفع كل محاولاتك الصاخبة للفت انتباهه.. فهو بعيييييد.. بعد السماء عن عينيك المتلهفة.

***

تطرد عن ذهنها لحظات الجنون.. لا تسمح لها بأن تؤرقها.. الجنون بحد ذاته لا يزعجها.. يخيفها فقط كيف يراه الآخرون.. تقاوم جنونها مرات وتنغمس فيه مرات أخرى.. وحين يصبح جنونها محرجا تتبرأ منه.. تتخلى عنه معلنة أنه حالة مؤقتة لا تكترث لها.. تنساه وكأنه لم

يحدث.. وبعد وقت تحن إلى جنونها.. تعيشه إلى حده الأقصى.. وتعرف أنه ما يعطي لحياتها لذتها ويعطيها لونها المختلف.

***

حين تستيقظ صباحا، متوهمة أن مزاجها كصفحة بيضاء تبتسم لها، ثم تبدأ في ممارسة كل الطقوس اليومية وتنسل الخربشات على صفحتها البيضاء، تكون خربشات قصيرة في البداية، ثم تتشابك وتتعقد وتملأ الصفحة حتى تحيلها لمتاهة معقدة، حينها يمارس مزاجها تقلباته المعتادة، يقودها نحو الجنون، كما يحدث بشكل يومي، تتركه يفعل ما يريد لأنه يحكم سيطرته عليها، ورغم ذلك يلومها الناس على مزاجها المتعجرف.

***

العلاقات بين البشر أكثر تعقيدا مما تبدو عليه.. ربما تكون أكثر تعقيدا من فهمهم نفسه لهذه العلاقات.. لذا عليك تجنبا للتعقيد أن تتخففي من البشر.. فالتصالح مع ذاتك وحده قد يتطلب عمرا.. بالإضافة إلى أوقات تستهلكها الحاجات اليومية.. عليك أن تحلمي بالتواصل مع البشر في عمر آخر.. على أن يكون تواصلا يخلو من التعقيد.

***

حين تشعرين بالضعف اعترفي بصوت عال.. اسمعي صوتك وهو يقر بضعفك.. إنكار ضعفك لن يخفيه.. وإظهار القوة سيضاعفه.. للهزيمة إشارات لا تخطئها عين.. الإقرار بالهزيمة انتصار من نوع آخر.. احتمي في ضعفك واستكيني.. حتى تهدأ روحك.. وتستعيد أنفاسها لجولة أخرى من اللعبة.

***

تنزعج من هدوء سريان دمائها في الشرايين.. تخشى أن تصاب بضعف في القلب.. كما لا يرضيها الصخب.. حين تفور دمائها بغتة.. تقتلها رتابة الأيام.. كما تخيفها الأحداث المفاجئة وتظل تستعد لها وقتا, تكره التخطيط المحكم للأحلام.. كما تصيبها العشوائية بالشتات.. إنها من هؤلاء البشر الذين لا يرضيهم شيء.. تعرف أن السعادة كلمة وهمية اخترعها أولئك الحالمون.. الذين يعتقدون أن للحياة مغزى ما.. لم تعد تشغل بالها باحتمالية وجود مغزى للحياة.. تنشغل أكثر بتمرير الأيام بأقل قدر ممكن من الانزعاج.

***

كل مرة تنغلق الثغرات التي تتنفس من خلالها.. تلك الحفر المتناهية الصغر في الفقاعة الحجرية التي تنحبس فيها.. في الواقع هي لم تكن

حجرية طوال الوقت.. أحيانا تكون شفافة كغلاف مطاطي لبالون مفرح..أحيانا تكون زجاج تخشي تهشيمها حتى لا تنجرح أصابعها.. وأحيانا تتبدد كفقاعة علكة انفجرت في لحظة صخب.. لكنها حين تصبح حجرية ينقبض قلبها.. وتنخطف روحها.. لأنها تعرف أن وجع ثقيل آت.. ولا مفر من الانسحاق تحت وطأة خطواته.

***

لا أحد يستطيع اختراق العوالم السرية المتشابكة داخلك.. ولا حتى أنت.. تهويمات الذكريات التي تتحول بآلية لا تعرفينها لتصبح رصيد من التهديدات.. جدار من الخبرات السيئة المتراكمة.. كومة من الأشياء التي استبعدتيها لكنها لا تختفي.. فقط تتكوم وتشي بالوقوع على رأسك عند أول استسلام لها.. لا شيء مما نتعرض له في حياتنا يمر.. فقط ينتظر الفرصة لينقض علينا مرة أخرى.. وهم تجاوز العقد والأمراض والضعف.. وهم التماسك والقوة والنضج.. في النهاية أنتي طفلة خائفة أجبرت عبر السنين على وضع الأقنعة.. والظهور في شكل الكبار..لحظة واحدة فقط كفيلة بعودتك إلى ما أنتي عليه.

***

اللسعات الخفيفة للبرد.. تلك التي تفصل بين صيف موحش وخريف يتشكل.. تستدعي الحنين..التذكر الناعم لأيام الأمان.. تستقبلين الآتي بشغف.. تنسجين أحلاما تعرفين أن لديكِ متسعا لتحقيقها.. أيام الطفولة في صباحات المدرسة الباردة.. حين كنتِ ترتعشين لكن قلبك يخفق فرحا.. وتركضين بصخب.. أيام الجامعة حين كسرتِ رهبة التحدث أمام الجمع.. حين عرفتي أن حدود جسدك لم تعد حدود العالم.. وأن حدود العالم أكثر رحابة من روحك.

***

تلك الكآبة التي تواظب على الحضور.. ربما لا تكاد تختفي حتى تعود متلهفة إلي.. أخاف من التعود عليها.. لكن سطوتها أكبر من إرادتي.. أتعلل بكل الأسباب المنطقية لكآبتي الدورية.. لكني حين استغرق فيها تماما أشعر بإحساس الغريق الذي مل من المقاومة بحثا عن النجاة.. ابتلع مياه كآبتي حتى آخر جزء في جسدي.. وانتفخ .. انتفخ.. كفقاعة كبيرة.. أتمنى أن تنفجر بامتلائها.. حتى أعطي لكآبتي المتجبرة نهاية مرضية.

***

في فقاعتي الخيالية أستطيع الاختباء وقتما شئت.. أهدئ أعصابي المشتعلة دوما.. أتجاهل توتري الذي يتزايد من أقل فعل.. ارتاح لفكرة أني محمية من أذى الآخرين مهما تفننوا في إيذائي.. فقاعتي تحميني من شرورهم رغم أن نسيجها من المطاط.. أغمض عيني وابتعد بخيالي بعيدا.. لا أحد يستحق إفساد هدوئي.

***

لا يرضيها أي شيء.. حتى سخطها على الحياة لا يرضيها.. تصل إلى درجة من السخط تعجز عندها عن التنفس.. تشعر أن مسام جلدها قد سدت.. تتوقف عن التفكير.. وتعود من البداية.. تعيد اكتشاف الحياة بتفاصيلها الصغيرة.. حتى ملمس الماء يصبح ممتعا.. ولسعة الهواء البارد.. تركز على الاستمتاع بما يحيطها من تفاصيل.. صوت أطفالها الصاخب.. كلماتهم المضحكة ونطقهم المغلوط للحروف.. احتفاظ شعرها باللون الأسود متحديا بعض الشعرات البيضاء.. هدوء الليل قبل النوم.. خدر النعاس.. الأحلام التي تستطيع أن تطير فيها وكأنها تسبح، وتشكلها في شخصيات مرحة.. تعرف أن الرغبة في الاستمتاع هي ما تحميها من سطوة السخط.

***

حان وقت الاختباء.. لا أمان في الخارج.. فالهواء يفقدك طراوتك.. وعيون البشر المتلصصة على ضعفك تجرحه.. الاختباء وحده هو ما يضمن الحماية.. لا أحد سيهدهد هشاشتك.. ولا أحد سيجمع ذراتك التي تتناثر.. فكل له حساباته الخاصة.

***

أحيانا يصبح التنفس جهدا ثقيلا.. وفتح العينين وقت الصباح عبئا.. والسكون حلما بعيدا.. حين تضطرين إلى فقدان السلام لأن العالم لا يسير بوجوده.. فالعالم لا يرضيه إلا حركة صاخبة تطحن الجميع.. وأنت كرهتي الصخب لأنه يجهد القلب.. ولا ينتج عنه إلا الوجع.

تلك الحساسية المفرطة تجاه العالم ليست شيئا مريحا.. هي لا تعلم لها سببا.. ولا تستطيع أن تبررها للآخرين الذين ينزعجون منها بشدة.. هي فقط تشعر بكل شيء بشكل مفرط.. يتضخم الحزن داخلها كوحش.. روحها أصبحت مرتعا لوحوش كثيرة.. احتلتها المخاوف.. كانت في السابق تنتشي لقدرتها المدهشة على ارتشاف الفرح.. أن تمتص فرحها لآخر قطرة بتلذذ.. أن تحب البدايات باندهاش طازج.. الآن أصبح إفراطها في الشعور لعنة.. لم يبق سوى عالم يحطم ذراتها كحفار قبور غير مبالي.

***

حين تتحول الأرقام لرموز تخنق الحياة.. تتحول لحظاتنا السعيدة والحزينة لأرقام.. الأيام لأرقام.. سنوات العمر.. الأصدقاء الذين فقدتيهم أما عمدا أو رغما.. الأطفال.. سنوات بقاءهم في حضنك.. احتمالات بقاءهم تابعين لحنانك.. سنوات الشيخوخة التي تتوقعين أن تقضينها بدونهم.. احتمالات مرات الفرح التي تتمنى أن تأتي..أنت تنحلين لأرقام وربما هي ما ستحميك من وطأة الوجع من هروب الحياة من بين أصابعك.

***

ليته يعلم أن تلمس خفيف من أصابعه لشعرها يكنس نصف همومها.. وأن ابتسامة حانية مع نظرات عينيه التي تتفحص ملامحها كفيلة بأن توقظ جناحيها من غفوتهما الطويلة.. وأن هدوء نبرات صوته حين يقول لها كلمة حبيبتي تهدئ صخب قلبها وتجعله مخدرا من فرط اللذة.

***

يستدعي البرد الكآبة بكامل بهائها من داخلك.. يعطيها قوة الوقوف على قدميها.. يكسبها جرأة مواجهتك وجها لوجه.. تفشلين في تحديها

وأنت ترتعشين.. أطرافك متجمدة وأصابعك متثلجة.. تتكورين على نفسك.. تبحثين عن سلاح قوي.. ليس الاستسلام هو ما يجدي مع قسوة كآبتك.. إنما هو التجاهل.. حين تدعين أنكِ لا تلاحظي وجودها تتضاءل.. يساعدك بعض الدفء على محوها تماما من أمامك.. أنه دفء جسمين صغيرين انفصلا عنك في السابق.. يمنحاكِ الدفء حين يلتصقان بك.

***

نفي البشر خارج ذهنك هو عقابهم اللطيف على كونهم قساة، قد يستحقون المزيد، لكنك لا تستحقين أن تهدري دقائقك الثمينة على السخط ومحاولة الانتقام، لا أحد يستحق أن يطأ منطقة اطمئنانك الخاصة بثقله.

***

الصدأ عندما يصيب القلب يكون أشرس من صدأ المعادن.. البرودة تفتت ذرات القلب.. يبدو متماسكا من الخارج وحين تلمسه يد يتبعثر.. تعلوه طبقة من مرارة.. تخلفها ساعات الوحدة التي تمر بمهل.. تجف أنسجته ببطء.. وتهرب دماؤه بلا عودة.. الصدأ عندما يصيب القلب يخنق أوردته..يصبح وجوده داخل صدرك عبئا مضاعفا..

وتتحول دقاته إلى خبطات ألم لا تمل من التلاحق.. الصدأ لا حدود لانتشاره.

***

بلمسة منه أعاد رسم ملامحها.. عدل أنفها الكبير الذي أرقها طوال حياتها.. زاد من اتساع عينيها ليعطي لنظرتها طعم الدهشة.. أعطى لشفتيها مزيدا من الدفء والنعومة.. ولخديها احمرارا.. ولشعرها حرية الطيران في الهواء.. هكذا رأت نفسها بوجوده.. رسم متقن بيد تعشقها.

***

به تمتلك القوة.. تتجدد ذرات جلدها وكأنها تولد من جديد.. تعود للقلب طراوته.. وينبض على نغمات منتظمة.. تتخلص الروح من الثقل.. تطوف.. تجري دماءها سريعا.. تكتسب ذكرياتها طعما مفرحا وتلك التي تؤلمها تختفي.. يتلاشى الملل تاركا ل اللذة كل الحضور.

***

التفكير العميق في الذات ربما نتيجة العزلة الطويلة.. فالمتورطون في الحياة غالبا لا ينشغلون بوهم الذات.. إنما يغرقونها في التفاصيل.. في ارتشاف الحياة.. في البحث عن اللذة.. هؤلاء البعيدون عن كل ذلك

هم من تقرصهم الوحدة.. كقرصة برد لا يرحم.. تعطيهم أسباب إضافية للحزن.. وتكون الذات هوة عميقة يخافون السقوط فيها.. كما أنهم لا يستطيعون منع أنفسهم من النظر إلى هول عمقها.

***

إدمان ارتشاف الوجع.. هو ذلك السعي الملح نحو تجربة اهترأت من كثرة التكرار.. ورغم ذلك يبقى ذلك الشغف نحو معايشتها من جديد.. الانغماس فيها حتى الأذنين.. توهم لذة ما في مباشرتها.. ونسيان الوجع الناتج عنها وكأنه لم يكن.. ليعود يحفر بأظافره من جديد في لحم الذاكرة.. ليخلق لنفسه ممرا وسط كومة عظامك.. ويسكن في الذرات.. التعلق بلذة واهية لا تأتي أبدا كما تشتهي ليس مهربا لائقا من الوحدة.

***

وحده الحزن هو ما نخشى الكشف عنه.. وكأنه وصمة.. ندعي أنه لا يسكن فينا.. وحين يطل برأسه من عيوننا نلكزه ليختبئ.. وحين يفيض في نبرات الصوت نشوش عليه بالصمت.. الحزن يخجلنا.. رغم أنه يأتي عنوة.. دون سعي منا.. الخضوع لسطوة الحزن ليس ضغفا.. وإنما رقة لا تليق بوحشية العالم.

***

وتبقى الصور تسجيلا لشكل ملامحنا التي تتحول كرمال متحركة في صحراء.. توثيقا للحظات التألق التي قد لا تعود.. وشهادة على لحظات فرح سرقناها من الزمن ثم عدنا وصنفناها ضمن لحظات البؤس.

***

في بعض اللحظات تتوهم أنها تستطيع إيقاف إحساسها بالعالم.. أو على الأقل تخفيف حدته.. تتجاهل كل ما يضعفها.. كل ما يجعلها تحس.. تعطي صلاحيات أكبر لعقلها حتى يتحكم في اندفاع الدماء في شرايينها.. ويوقف تسارع دقات القلب.. ويقلل الانفعال بما يحدث حولها.. تتوقف عن الحزن والفرح.. كليهما يستنفذان قوتها.. تتوقف عن التلذذ بأي شيء حتى لا تضطر إلى الشعور بوطأة فقدانه.. لكنها تعرف أن إيقاف إحساسها بالعالم موت مؤقت.. قد تستمرئه وتفقد ذراتها حساسيتها المفرطة.. وقتها ستنغلق دروب العودة وتعلق في موت بغيض.

***

الحياة بحيرة عميقة.. كل يبحر فيها بطريقته.. كل يغرق فيها بطريقته.. لا أحد يلتفت للآخر.. غرقك الفردي يخصك وحدك.. لا قشة للنجاة تمدها يد إليك.. استمتعي بغرقك حتى الثمالة.. تلك العيون المفتوحة على آخرها تنظر إليك ولا تراك.. تلك التحديقات تعريك دون إنقاذك.. يتلصصون على غرقك ليقارنوه بغرقهم فقط.. ربما ليستمتعون بغرقهم المغاير عنك.. توحدي مع دوامتك.. دوري فيها بلذة .. الغرق أحيانا يمتع.

لملمي بقايا الروح المتناثرة، اعجنيها في شكل متماسك، حافظي دوما على بقاءه، إذا حدث وأصرت البقايا على التناثر اتركيها تطوف في الهواء، لا شيء يرمم انكسار الروح.

***

في وقت ما تستطيع عينيك رؤية الزيف.. زيف العالم.. كل ما يحيط بك ينكشف.. تذوب الألوان.. وتتحول ملامح البشر إلى ما هي عليه في الحقيقة.. بعضهم يتحولون لمسوخ في عينيك وآخرون تبهت ملامحهم لأنهم هكذا في حقيقتهم.. أشخاص باهتون.. تتباعد المسافات وتكتشفين أنها كانت هكذا دوما.. يتلون كل شيء بالرمادي.. لون

الحياد.. هم حياديون معك وأنت حيادية تجاه الحياة.. والحياة لا تعبأ بك.. تكتشفين مجددا أنك نقطة ضئيلة في الهامش.. لا تحتاج إلا إلى ممحاة لتستريح في التلاشي.

***

تندلق الروح.. تتبعثر كآنية تكسرت لشظايا.. تتفتت لذرات.. تدخلين في دوار.. تتشبثين بأناس.. تخافين اقترابك منهم.. لعله التصاقا.. تخافين ابتعادك عنهم لأن الوحشة تزيد.. ما بين الاقتراب والابتعاد يستمر الدوار.. تعرفين أن الدوار هذه المرة لن ينته من تلقاء نفسه.. لن تستطيعي الوقوف باتزان.. ولا يد تمتد.. إنه دوار لا نهائي لن ينته.. تتلذذ فيه ذرات روحك بالتشظي.

***

حين تتجاهلين الصوت المنبعث من الداخل.. حين تسعين إلى حميمية جوفاء مع آخرين وتتركين تلك الطفلة التي تبكي بداخلك وحيدة.. تظنين أن الآخرون قادرون على ملء الفراغ داخلك.. على حشو خوائك بكلمات التعزية.. على ملء فراغات روحك باهتمام زائف.. لا أحد يستطيع ذلك.. لأن لا أحد يهتم بهدهدة حزنك.. كل يبحث

عن مخرج لخواءه.. اسكني داخل ذاتك.. احتمي بجدرانها.. الطفلة الخائفة داخلك تهدأ بالسكون.

***

قد نتوهم في بعض الأحيان أن تلك الأحاسيس التي تثقل صدورنا كحجارة ستنزاح بمجرد إخراجها لأناس آخرين.. نتركها تنفلت وكأنها فورة بركان سأم من طول انطفاءه، وكأنها ستحتفظ بوهجها وسخونتها، لكنها تظل على ثقلها، وقد ترتد إلينا أكثر ثقلا، حين نعرف أن لا قلب يحتمل عبء مشاركتها معنا.. تلك الصخور لن تنزاح.. عليها أن تتفتت.. ما جدوى الأحاسيس في خواء وجدب وقلوب لا تنفتح بسهولة لاستقبالنا.

***

الحزن يطل من عينيها.. الخوف.. ومفاوضة الألم.. تحاول مداراة كل ذلك بابتسامة غير مكتملة.. تنظر إلى لا أحد.. لأن عينيها لا تقوى على مواجهة عيون أخرى.. تفاوض الألم حتى لا يتضاعف.. تطلب منه هدنة أو رحيل.. والآخرون لا يرون حزنها.. أو يتجاهلونه.

***

حين تتزاحم ذكريات القسوة.. تتراكم لتكون جدارا.. يصطف بوحشية بينهما، قد يتوهمان في لحظات أنهما يقتربان من جديد، حتى يوشكان على الانعجان.. لكن الجدار يفصل بينهما، يحسانه.. في رقة حبل حريري يستخدم للشنق، وفي سمك سور حجري عتيق يفصل بين المدن.

***

وحدهم الأبطال هم من ينفضون عنهم الأثقال.. يتخففون.. لا يتعلقون بشيء.. يستطيعون الطواف متى شاءوا دون لحظة تردد.. يرتدون أجنحتهم الجاهزة دوما للتحليق ويدورون في الهواء.. يتصاعد صخب ضحكاتهم.. حتى يؤذي آذان المثقلين..هؤلاء الذين يلتصقون بالأرض بغراء خوفهم وترددهم.

***

اكتئاب أسود في عالم ينضح بالسواد.. لا سبيل للخلاص.. كل المخارج علامات زائفة.. تودي بنا إلى متاهة.. لعنة المتاهة تلاحقنا أينما ذهبنا.. نعود من حيث بدأنا.. نبدأ من جديد رحلة الوجع.. بنفس براءة المرات السابقة وسذاجة قلوبنا.. لن تنته رحلة الوجع رغم

علاماته الحارقة على روحنا.. وعلامة القيد على رقابنا.. سندور وندور وندور.. تلك لعنتنا التي لم نختارها.

***

إنها القدرة على التخلي.. تلك التي تمنحك القوة.. التخلي عن الإحساس المرهف بالعالم.. التخلي عن العالم.. التخلي عن كل ما يربطك به.. التخلي عن الهواء الذي يدخل رئتيك..التخلي عن الدماء التي تجري في شرايينك.. التخلي عن تشابك ذراتك.. وتركها تتحرر ..تتبعثر.. تنتشر في الفراغ.

***

حين تستسلم تماما للضغوط..وتسلم كل دفاعتها..حين تتوهم أنها هشة كفراشة.. تكتشف قوة ما.. ليست بالضرورة قوة التحدي والمواجهة..التي تتكسر بفعل قسوة كل ما هو محيط بها.. إنها قوة المرور بين الشقوق الرفيعة.. موازنة الخسائر والرضا بأقلها.. تحويل البؤس إلى ذرات من الفرح.. اكتشاف قدرة العيش بداخله دون أن تتكلس روحها.. قوة عيش المتاح وتحويله إلى عالم ساحر بفعل الخيال.

***

الموت.. من يخطف الأعزاء.. هو ذلك الوحش الذي يفقدنا التوازن.. يجعلنا نتخبط في حيرتنا.. نغرق في خوف مضاعف.. خوف وجع الافتراق وخوف الذهاب إلى العدم.. لا سبيل لمقاومته حينما يتحمس.. يخطف الودعاء الطيبين الذين تضعف قلوبهم عبثية الحياة.. لا هم عاشوا بسكينة ولا هم فارقوا بمهل.

***

في لحظات الرضى تختفي كل المآسي التي عاشتها.. تصبح كغبار تنفضه عن ذاكرتها فيتطاير هاربا.. تتصل كل لحظات الفرح لتكون حياة موازية تصدق أنها عاشتها.. وتمتعت بالكثير من منح الزمن.. أما حين تكون ساخطة.. تتحول تلك المآسي لكوراث.. تشعرها أن حياتها على وشك الانهيار.. وأن قلبها تحمل الكثير.. وأن روحها أنهكت.. وتتصل المآسي.. تتلاحم في هيئة وحش يبتلعها.. ويقضمها بأسنان حادة.

***

هي لا تحتاج إلى أصابع لتلملم ذرات روحها.. أو لعيون ترسم خطوط ملامحها.. لا تحتاج لابتسامة ذكر تحدد درجة أنوثتها.. أو لصوت هامس يملأ أذنها نبرات ناعمة وقلبها شغف.. لا تحتاج للمسات تجري

صخب دماءها في عروق جافة.. فقط ما تحتاجه أن تعرف أنها ساحرة.. بدون آخر لا يزيدها حضوره إلا عبئا.

***

عليك أن تنقذي روحك من قبضة الآخرين.. تمحين صورتك المنطبعة في أذهانهم.. تكنسين كلماتك من خبايا ذاكرتهم.. تغافلينهم وتسرقين نبرات صوتك من أسماعهم.. تنسلين من بين أصابعهم.. لا ذكرى لك في عقولهم.. تتبخرين.. تتلاشي ملامحك بالتدريج.. تصبحين لا أحد.. حينها تتحرر روحك.. تنطلق بعيدا عن الانحباس داخل وعيهم.. تصبحين دخان يتلاشي في الهواء.. حينها يمكن التجول بحرية.

***

أحيانا ببراءتها الطفولية تتخيل أن الحزن لا يحتمل.. وأن قلبها الدافئ لن يتحمل المعاناة.. والوجع المنبعث منها.. وأنه سيتفتت.. تظل تتوجع وهي فزعة.. تنظر للآخرين حولها.. تكتشف أن لكل معاناته الخاصة.. لا يسلم أحد من الوجع.. وكأنه شرط وجود الحياة.. لا يخفف ذلك عنها كثيرا.. فهي لا تتحمل الوجع ..وفقط.

***

يلح علينا الماضي أحيانا بسخافته.. يهزأ منا.. تراوغنا ذاكرتنا عنه.. والتي قد لا تتفق مع ما حدث فيه.. ما نخزنه عن الماضي في عقلنا هو ما يشوشنا.. وليس الماضي نفسه.. ومحاولة التحقق مستحيلة.. تفتيش ذاكرات الآخرين الذين عرفناهم للتعرف على أنفسنا من خلالهم وهم.. لأنهم هم أيضا يخزنون الماضي وفق أهوائهم.. تقفي أثرنا مستحيل.. محيت خطانا.. ولم يبق سوى زيف في الذاكرة.

تفتح قلبها كحقيبة تختنق بامتلائها.. تنزع الأشياء المبعثرة في أنحاءه.. تلقيها بعيدا.. بعض الخبرات القاسية.. أحاسيس جفت من طول الترك.. حزن فقد بهاءه.. صور باهتة لملامح.. ما عادت تتعرف عليها.. ضحكات ما عادت تحتاج إليها.. تصر على إخلاءه من كل البقايا العالقة.. تغلقه بإحكام مستمتعة بخفته.. فالشغف يحتاج لحرية الحركة بين جدران القلب.

***

أحيانا تحتاجين هدنة.. تتخلصين من الالتصاق بذاتك.. تنظرين إليها من بعيد.. لا ليس كنظرة الآخرين لها.. ولكن كنظرتك أنت لها حين تتلبسك لحظة تعقل.. لحظة فهم.. هل أنت على الطريق.. أم في

مفترق طرق.. حتى المفترق ليس مأزقا بحد ذاته.. ما عليك سوى اختيار الطريق.. تحمل عبء الخطوة الأولى.. الرضا بكل ما سوف يأتي.. أو السخط عليه.. لكن تحمله بصبر.. بلطف.. باستكانة.. وبرضا.. الاختيار أمر عليك التعود على لذته.

***

تلاحقنا الذكريات.. كحمل كبير نجرجره وراءنا.. فقط لو نتوقف عن حمله.. نتوقف لننظر داخل علبة ذكرياتنا.. سنجدها وقد تحولت بفعل الزمن.. أصبحت وريقات مهترئة صفراء تتفتت وقت أن نمسك بها بأصابعنا.. دون أن يتسنى لنا استعادة ما خط داخلها من أحداث.

***

بائسة كمستيقظة وسط نيام.. أقلب في جوال الذكريات.. أجاهد ذاتي حتى ألقى بأشياء للخارج.. لكنها تقف بشراسة نمرة، تنظر لي بعيون وحشية.. ترفض أن تتخلص من أي حدث عابر، تزعم أن تلك الأحداث هي ما تكون وجودها.. بوداعة أشير للأوجاع.. تخبرني أن التلذذ باستعادة الوجع طقس من طقوسها اليومية، وكأنها لن تتنفس بدون وجع مداوم.. اتركها وأنا أفكر في خطة جديدة لسرقة أوجاعها ورميها بعيدا.

***

كيف يعيش البشر سويا دون أن يتعلموا فك الرموز.. تفكيك شفرات التعامل بينهم.. كل يحتمي بفقاعته.. ويظن أنه يندمج بالآخرين.. كل يسعى للذة فردية.. ويتحسر على عدم إشباعها.. يشكو من تجاهل الآخرين لحاجته.. لهوسه الفردي نحو إشباع تلك اللذة.. الفقاعة في حجم جدار.. شفافة كزجاج بارد.. ولينة كعلكة.. الصدفة النادرة وحدها هي ما تمنحك من يستطيع اختراق تلك الفقاعة.. لكنها ليست حانية بما يكفي لتتركه لك طويلا.. تخطفه بنفس خفة جلبه لك.. وتتركك تتحسرين على التماهي غير المكتمل.. على لحظة اللذة بالانغماس فيه.. بالانعجان معه.. وبارتشاف ذراته المتداخلة بذراتك.. لحظة واحدة تبقى دوما محفورة في ذاكرتك.. لتذكرك بجنتك الضائعة.

***

عندما تزداد الوحدة.. تفيض من داخلها.. تملأ المكان حولها.. تظل تتضخم كوحش خرافي.. تظن بوهمها الطفولي أنه وحش من نسج خيالها..تستخف به متوقعة أن يختفي بين لحظة وأخرى.. لكنه يظل يملأ المكان.. تتكور على نفسها.. تغمض عينيها وتتهيأ للتلاشي..وتختفي.

***

في تلك الأيام، التي تنتابها فيها الكآبة، تصبح الدقائق بلا معنى.. لا تعبأ بضياعها.. تدور في المكان.. لا ترتاح في الجلوس.. ولا تهدأ.. تهدهد عقلها حتى يتدخل.. لكنه يمتنع في عناد.. يتركها تغرق في كآبتها بقسوة أب لا يعبأ بابنته.. يمتد ألم خفيف في ما بين القلب والأحشاء.. يشبه شعور الغثيان.. تظل تتلمس النجاة.. تفكر في كل ما يمكن أن يجعلها راضية.. ماحققت من أحلام.. وما ينتظرها من فرص.. ميزة بقاءها تتنفس.. وامتلاكها لمساحة أرض تكفي لقدميها.. تظل تبني جدار التماسك بحجارة صغيرة من الإيهام.. يبدأ الغثيان في الاختفاء.. يتوقف دورانها.. تجلس نصف مرتاحة.. وهي تحاول استيعاب وجود معنى للحياة.. ثم يحدث شيء عبثي في الخارج ينسف جدار الوهم الذي يبقيها راضية.. وتعود الكآبة بابتسامة الفائز.

***

عرفت أين تحب أن تختبئ.. كانت تنكر ذلك مرارا.. متوهمة عن نفسها صفات ليست لها.. تختبئ هي دوما في المنتصف.. تلك المساحة الضيقة ما بين مكانين.. ما بين اختيارين.. ما بين حياتين.. لا ترضى تماما.. فتقتنص السلام لتهديه لروحها.. ولا تترك ما هي فيه وتخلعه عنها.. خوفا من أن يؤذيها التخلي.. يعريها من الأمان.. تختبئ في

مساحة المنتصف التي تضيق عليها.. وتسحق جسدها.. فقط لتتعلق بأمان يكفيها لتتخيل أنها تتنفس.

أفعال بسيطة تجعل صخب روحها يهدأ.. نظرات من عينيه حين يهتم.. كلمات لينة تسترضي غضبها.. تلمس جبينها بأصابعه.. مداعبة شعرها.. خيط ممتد من التلهف لا يقطعه تجاهل متعمد.

***

دقات الساعة.. مرور الثواني والدقائق.. الاستيقاظ صباحا.. نفس أفعال اليوم السابق.. نفس اليوم السابق باستثناء أنه اليوم.. لا يتغير أي شيء سوى تحول ملامحك.. انتفاخ العينين أصبح متكررا هو أيضا.. الخطوط مازلت تنحفر– بحماس تفتقدينه– على وجهك.. تنحفر عميقا بين الجلد الذي لن يصبح طفوليا.. لن يصبح شفافا وناعما.. وستبرز العروق على يديك بمعدل متصاعد.. وستتحول ملامح أطفالك خفية فتنتبهين فجأة أنهم كبروا.. وأن أطوالهم لم تكن كذلك.. وأن ملامحهم تغيرت.. فقط دقات الساعة هي التي لا تتغير.. تستمر على رتابتها لتوحي لك أنك ثابتة في مكانك.

***

كعجينة لينة يتغير مزاجها.. يتشكل سريعا في شكل آخر مخالف تماما لسابقه.. لكن ليس بيديها.. فهو في يديها حجر قاس.. يرهق أصابعها.. فقط حينما تشعر بلمسة حنان وبلهفة ما يتحول ذلك الحجر القاسي ويصبح في طراوة وردة .

***

كوردة قطفت، ومنع عنها الماء، أراقب ذبولي بمهل.. أشعر بالجفاف يتسرب إلي.. يزحف على كل ذراتي.. يتحول لوني.. يفقد بريقه.. تتساقط أوراقي مع تساقط الأيام من الرزنامة.. لا أحتمي بشيء.. الاستسلام للجفاف لذة.. التيبس حد التبعثر تجلي آخر.. أمارس فيه حضورا جديدا.

***

في مواقف تماس الجسد مع الروح.. تلك التي تجبر فيها على النظر في المرآة.. تتوقف الروح عن التحليق.. تندهش عند رؤية امرأة في المرآة تحدق فيها ببله.. تتوقف لترصد أشياء لا تعلم عنها شيئا.. تكورات وشحوم تكونت في غفلة منها .. أو تغافل.. شعر يخرج دوما على النظام.. ملامح أهلكتها الانفعالات.. حجم مضاعف لما تعودت الروح على تخيله.. تهرب سريعا من لقاء مع الجسد أجبرت عليه..

وتمحى تلك الصورة التي انطبعت في المرآة.. وتستأنف الطواف في الهواء.

تفقد آخر ذرة من الاحتمال..تصبح التفاصيل اليومية عبء.. ينسحق قلبها من ثقل الأحداث اليومية المعادة.. تفشل في إنقاذه فتتركه.. توقف إحساسها لعل العبء يتخفف.. السكون التام.. الصبر أمر بعيد المنال.. من يملكه يستحقه.. ومن يفشل في الحصول عليه فليهنأ بالثقل المداوم.. الذي لا يمل من سحق القلب والروح.

***

إن كانت في الحياة لذة.. فهي تكمن في اللعب بالكلمات.. في اصطفافها في عذوبة.. في اندماج موسيقاها مع لهفة السمع.. في التعبير عن النعومة والرقة التي تجيش بها أرواحنا.. إن كانت في الحياة لذة.. فهي تكمن في الإشارات التي نرسلها لبث السكينة في بعضنا البعض.. للعبث بعبثية العالم من خلال لعبة الكلمات.. الكلمات لمسات ناعمة تهدئ روع أرواحنا.

***

حين تشعرين بالضعف اعترفي بصوت عال.. اسمعي صوتك وهو يقر بضعفك.. إنكار ضعفك لن يخفيه.. وإظهار القوة سيضاعفه.. للهزيمة إشارات لا تخطئها عين.. الإقرار بالهزيمة انتصار من نوع آخر.. احتمي في ضعفك واستكيني.. حتى تهدأ روحك.. وتستعيد أنفاسها لجولة أخرى من اللعبة.

***

للعشق سحر.. يعيش بأفعال صغيرة.. أن تتابعك عيناه وقت حضورك.. ترتشف ذراتك بمهل.. تبحث عن عيناك بشغف وتسكن فيها.. تخبرك بأشياء لا تستطيع الحروف مسها..أو الإمساك بها..أن يسكن روحك بصمت وهدوء من يلجأ لبيته بعد تشتت.

***

تشعر أحيانا أنها سقطت في هوة عميقة.. تنظر لمن حولها .. تستجدي منهم حبلا تتشبث به.. لكن لا أحد يفهم.. يتركونها في قاع الهوة.. تفشل كل محاولاتها في النجاة بمفردها.. الصعود من هوة عميقة يتطلب قوة افتقدتها في التشتت بين الواجبات الكثيرة التي عليها عملها.. تفشل ايضا في الاستسلام للظلمة.. تظل حائرة.. وتتضاعف المعاناة..وحين تفقد أنفاسها تتكور داخل الهوة وترتاح.

***

فقط يشبعها أن يسألها بحنان: لما كان نومك متقطعا بالأمس.. وحين يلاحظ شحوبا في ملامحها.. وحين يمسك بيديها ليمتص ارتجافتهما.. وحين يلمس خدها بأصابعه ليتحقق من كونها مازالت قادرة على الابتسام.. يشبعها أن يضمها بغتة.. وأن يهمس في أذنها بدفق من كلمات العشق حين تكون غير منتظرة لذلك.. يشبعها التفاتة عينيه عليها في لحظات الانشغال القصوى.. وكأنه يستمد الطاقة من رؤية عينيها.. وحين يجيء متلهفا في نهاية اليوم.. يجري عليها كطفل افتقد حضن أمه الآمن.

***

يكره الذكر أن تتقرب إليه الأنثى أولا.. يرعبه ذلك.. يربكه.. يجعله في خانة الفريسة.. يهوى هو دوما دور الصائد.. يزعجه أن يكون موضوعا للغزل.. موضوعا للافتراس.. يفقده ذلك سلطته الوهمية.. قوته المتخيلة.. التي تتعزز باستسلام فريسته من فرط حضوره.. أن يوضع في خانة رد الفعل يفقده روعه الفعل وبهاءه.. وهي يمتعها تبديل الأدوار.. تكره أن تكون الفريسة دوما.. يمتعها أن تتنقل ما بين دور الصائد ودور الفريسة.. ويرضيها أن تتغزل في ملامحه التي تفتنها ***

حين يختبئ الشغف بعيدا.. تطرده رتابة الحياة اليومية.. تكنسه من على السطح ليتوارى مهزوما.. يبحث عن ملجأ.. وتعيشين أنتي دون ملاحظة اختفاءه.. فقط حين توقظك إحدى الكلمات من الغفلة.. كلمة ترن طويلا في أذنك.. وتندس عميقا لتلامس شغفك في مخبأه.. تحرره.. تعطيه القوة لكي يظهر بكامل وضوحه.. لا يوجد أثقل من شغف لا يتحقق حضوره.. فينطفئ قبل اشتعاله.

***

من يملكون ذاكرة قوية هم فعليا بؤساء.. تتداعي الأحداث دوما في أذهانهم.. ما أن تجد وسطا مشابها حتى تنثال عليهم كنهر فقد اتزانه.. الحديث عن مراوغة الذاكرة لا يجدي معهم نفعا.. لأنهم يختزنون كل الأحاسيس المصاحبة لذكرياتهم.. كل تلك الخيبات يعرفونها جيدا من طول معاشرتهم لها.. طعم الخيبات لا ينسى ولا يراوغ في عودته بكل بهاءه وحضوره.

***

حين يبدأ سخطها على العالم لا يوقفه شيء.. يظل يتضاعف ككرة ثلج تدور.. حتى أنها تخشى تضخمه حين تقف لتشاهده صامتة.. يبدأ السخط بأشياء تافهة تشعرها أن لا جدوى للعيش في ذلك العالم

البائس.. أناس يتقاتلون على لقمة عفنة.. ووجوه شوهها طول التصاق الأقنعة بها فمحت ملامحها تماما.. وأرواح مغيبة أنستها معركة الحياة كيف تصفو .

***

اليوم الموعود..أتحاشي تداعي الذكريات.. ذلك الذي يبدأ منذ إستعادة وعيي في الصباح.. أعطي لوساوسي معان أخرى غير تلك التي تبدو عليها.. أؤكد لذهني المزدحم أن لا شيء يؤرقني.. وأنه يوم سيمر كباقي الأيام.. هادئ ومعروف تفاصيله.. أزيح رغبتي في الاحتفال.. وأميل إلى تمضيته في نفس الأعمال اليومية.. وأنا أهدهد كآبتي حتى لا أوقظها من غفوتها القصيرة.. وعند اقتراب نهاية اليوم يتآمر عقلي علي ويذكرني بكل الأشياء التي أخفيتها في حقيبة الذكريات المعدومة.. وأن اليوم الذي دخلت فيه الحياة يتكرر كل عام.. بإيعاز من أرقام مراوغة.

***

في تلك الأيام، التي تسبق ذكرى ميلادها، تقوم بكل الأفعال لتلهي ذاتها، كأنها طفلة كثيرة البكاء، تحاول بضراوة إسكاتها، تقطع الطريق على الاكتئاب المزمن، تسد كل الثغرات عله يمل ويرحل مهزوما، لا تترك لذاتها فرصة للتنفس وتأمل الحياة، لأنها تعرفها جيدا، إذا أتاحت

لها وقت فراغ سوف تمعن في تبخيس الماضي، بل وسوف تصنفه كله كأذى بحت، مجموعة متواصلة من الجراح والهزائم، ولن تكتفي بذلك في حفلة جردها لحياتها، بل وستوصم المستقبل أيضا، ستعطيه علامة متدنية، ستدخل ذاتها راضية إلى فقاعة الاكتئاب المزمن وتغلق وراءها الباب بإحكام، ولن تستطيع إخراجها إلا بمعجزة.

***

مع الوقت تسلم أوردتنا دفاعاتها، تعلن الاستسلام أمام طوفان الدماء المندفع عند أية لحظة انفعال، الفرح مثل الحزن، الدهشة مثل الندم، الاشتعال وفوران الدماء سمة البلهاء، الذين يتصورون أن معايشة الحياة أمر ممتع، أن التلذذ بلحظاتها حتى آخر رشفة، أو التعمق فيها أفضل من مرور العمر ببلادة، ليكتشفوا في النهاية أن الحياة تنهك أوردتهم وشرايينهم، وأن أجسادهم التي يرتدونها لن تصمد طويلا.

***

للعشق سحر.. يعيش بأفعال صغيرة.. أن تتابعك عيناه وقت حضورك.. ترتشف ذراتك بمهل.. تبحث عن عيناك بشغف وتسكن فيها.. تخبرك بأشياء لا تستطيع الحروف مسها..أو الإمساك بها..أن يسكن روحك بصمت وهدوء من يلجأ لبيته بعد تشتت .

***

تشعر أحيانا أنها سقطت في هوة عميقة.. تنظر لمن حولها .. تستجدي منهم حبلا تتشبث به.. لكن لا أحد يفهم.. يتركونها في قاع الهوة.. تفشل كل محاولاتها في النجاة بمفردها.. الصعود من هوة عميقة يتطلب قوة افتقدتها في التشتت بين الواجبات الكثيرة التي عليها عملها.. تفشل ايضا في الاستسلام للظلمة.. تظل حائرة.. وتتضاعف المعاناة..وحين تفقد أنفاسها تتكور داخل الهوة وترتاح .

***

تفقد آخر ذرة من الاحتمال..تصبح التفاصيل اليومية عبء.. ينسحق قلبها من ثقل الأحداث اليومية المعادة.. تفشل في إنقاذه فتتركه.. توقف إحساسها لعل العبء يتخفف.. السكون التام.... الصبر أمر بعيد المنال.. من يملكه يستحقه.. ومن يفشل في الحصول عليه فليهنأ بالثقل المداوم.. الذي لا يمل من سحق القلب والروح.

***

في مواقف تماس الجسد مع الروح.. تلك التي تجبر فيها على النظر في المرآة.. تتوقف الروح عن التحليق.. تندهش عند رؤية امرأة في المرآة تحدق فيها ببله.. تتوقف لترصد أشياء لا تعلم عنها شيئا..تكورات وشحوم تكونت في غفلة منها ..أو تغافل.. شعر يخرج دوما على النظام.. ملامح أهلكتها الانفعالات.. حجم مضاعف لما تعودت الروح على تخيله.. تهرب سريعا من لقاء مع الجسد أجبرت عليه.. وتمحى تلك الصورة التي انطبعت في المرآة.. وتستأنف الطواف في الهواء.

***

في لحظات الرضى تختفي كل المآسي التي عاشتها..تصبح كغبار تنفضه عن ذاكرتها فيتطاير هاربا.. تتصل كل لحظات الفرح لتكون حياة موازية تصدق أنها عاشتها..وتمتعت بالكثير من منح الزمن..أما حين تكون ساخطة.. تتحول تلك المآسي لكوراث..تشعرها أن حياتها على وشك الانهيار.. وأن قلبها تحمل الكثير..وأن روحها أنهكت.. وتتصل المآسي ..تتلاحم في هيئة وحش يبتلعها..ويقضمها بأسنان حادة.

***

النضج ليس فقط علامة اختفاء الطفولة، إنه علامة الكبر، دليل على اختفاء معاني أخرى، الدهشة، الفرح، الغضب، التوتر، التحليق عاليا، تلك الانفعالات السريعة التي تعطي للأيام طعمها، وتكسر رتابة مرورها على قلوبنا، تجعلها تتمايز حتى نتذكرها بوضوح، سحقا للنضج إذا كان يعني توقف إحساسنا باللحظات التي تمر، وتفهمها، واعتبارها أشياء قديمة ألفناها.

***

علقت هي في شباك الزمن.. لم يعد الموت مخرجا.. مجبرة هي على التنفس..وتجرع الحزن دفعة واحدة.. لن تستطيع التوقف عن مشاهدة الوحش وهو يفترس الجميع.. لأن لها جزأين منها في الخارج..لن تتركهما يحتسيان حزن فقدها..ليس في الموت راحة حين يكون لها طفل يحيا بها.

***

الحنين، ذلك الإحساس المبالغ فيه، إحساس مضاعف، رغبة حارقة في عيش لحظات مضت، في إعادتها عنوة، حزن على رحيلها، تأمل الملامح في الصور، وحسرة على اختفاءها، محاولة للتشبث بكل اللحظات الفائتة، والتي ربما لم تكن مليئة بالفرح، إنه فقط حنين لما

مضى حتى إن كان سيئا. ربما يكون الحنين هروبا بمعنى ما من الحاضر بإدعاء أن الماضي كان مبهرا، رغم أن الماضي نفسه كان حاضرا غير مرغوب فيه. يكمن الخلل فيها ربما، لأنها دوما ما ترفض الحاضر وتهرب منه، ثم تحوله إلى لحظات تذرف عليها الدموع بعد أن تفوت، تضخم من حلاوتها والتي لم تشعر بها في وقتها. راغبة هي في كل ما هو فائت، في كل ما تسرب من بين أصابعها، رغم أنها ما تركته عمدا ليتسرب. تلذذها بالحسرة على ما فات يشبه هروبها من كل ما هو متوفر، لتتحسر عليه فيما بعد، بعد اختفاءه، دائرة لا تنتهي من الهروب والتحسر والحنين والحزن وتضخيم حلاوة ما قد مضى.. لا تعلم متى ستتعلم ارتشاف حلاوة ما تعيشه، والانغماس في لذته وهو بين يديها.

***

الحب أسوأ ما قد يحدث لك في الحياة، أن تتعلق بأحدهم، كأن تصدم بسيارة مسرعة وأنت تجري بأقصى سرعتك، يحدث الاصطدام، تنفلت ذراتك، تتبعثر، لا تعود قادرا على لملمتها في كيان متماسك مرة أخرى، أبدا، أن تكون رهن إشارة أصبعه، رهن نظرة من عينيه، كلمة منه تبعثر ذراتك مرة أخرى، لحظة إهمال تميتك ولا تحييك، تتلهف على

الذوبان فيه، أن تنمحي لتصير ذرة تدور في فلكه، في صلاة أبدية لا تنتهي. الأسوأ من التبعثر لأجله تماسكه اللعين، قسوته في مواجهة شغفك، جموده في مواجهة ذوبانك، ابتعاده في مواجهة التصاقك به، جحوده في مواجهة انسحاقك.. الحب لعنة، لا تصيب إلا الحالمين.

***

أحيانا يأتي عليها وقت تشعر فيه بالامتلاء حد الفيضان، لا تعود تحتمل المزيد، تريد فقط أن تسكن، تتوقف، وتفرغ ما امتلئت به، لا مكان لأعباء أخرى، لا مكان لأحمال أخرى، لا مكان لأي شيء. فقط تحتاج لهدهدة حانية تساعدها على المواصلة، يد تمسك بها لتبدد فقاعة الوحدة، عينان باسمتان تؤنسان عينيها القلقتين، اقتراب شديد لا يترك مجالا للوحشة، يسد عليها كل الثغرات. فقط لمسة حانية تعيد للحياة نعومتها، وللروح السكينة والأمان.

***

حينما تتوه، حين تفقد تواصلها مع ذاتها، عمدا أو سهوا، تصبح معلقة كعنقود عنب اقتطف وترك للجاذبية تقهره، معلقة بقشة هشة، قد تتفتت في أية لحظة. تبحث عن أحد يعرفها أكثر مما تعرف هي نفسها، ولا تجد، من ذا الذي يسعى إلى فهمها، لا أحد يكترث. تلك التعاريج

الملتوية التي تكون طرق ذاتها الغامضة عصية على الفهم، ربما إذا فكت شفرة غموضها، إذا تآلفت مع تشابكاتها تستطيع أخيرا هزم الوحشة. ربما، لكن يظل الحلم يداعبها، بأن يشاركها أحد رغبة التجول داخل تعريجات ذاتها بشغف.

***

هناك بعض اللحظات التي لا تنمحي تماما من الذاكرة، وتبقى أثارها كخربشات باهتة في جدار الذاكرة، ربما لتؤرق صاحبها أو لتجعله يعرف أن لا حوائط تخلو من لمسات من مروا.

***

للوحشة مخالب، تنفذ في اللحم، تصل إلى العظام، تفتت تماسك الذرات، تخربش صفاء روحك، والذي لم تعرفينه إلا قليلا. خربشات عميقة، بالأحرى هي جروح لن تلتئم، تعرفين جيدا أنها لن تلتئم، من خبرة الجروح التي سبقتها، والتي ظلت تحملق فيك زمنا طويلا، تنز، تتلذذ ببث إشارات الوجع إليك، مهددة ببقاءها حية، طرية، مدماة، وعميقة. ماعاد يرضي الوحشة استسلامك لمخالبها المميتة، فهي لا ترتاح إلا برسم خريطة من الجروح، تملأ داخلك.

***

الاقتراب المتمهل.. ذلك البطء.. خطوة قد تشي بالتقدم والتراجع في آن.. تفكيك حاجز وراء حاجز بنعومة.. كأنها مكعبات متلاصقة في لعبة طفل.. كأنه غلاف هدية تفتحه يد هادئة.. لا تستعجلها رغبة الاكتشاف.. بالأحري تتلذذ بالتمهل ما قبل الاكتشاف.. بارتشاف كل خطوات التعرف على الهدية.. الاقتراب الحذر.. الذي لا يثقله تهور.. ولا يفقده التعجل لذة تكونه.. تلك الرقة في تلمس التفاصيل.. في التعرف عليها.. ذلك الحزم في وقف الانهمار.. وتحويل الاكتشاف إلى قطرات صغيرة.. ترتشف باستمتاع.

***

ثغرة صغيرة في جدار العزلة، كنقرة عصفور يبحث عن غذاءه، كلمسة أصبع مستكشف، كدقة خفيفة على باب لم ينفتح منذ زمن طويل، كقشة رميت عرضا لغارق، نور ضعيييف خافت ينبثق برقة، من تلك الثغرة، لايؤذي العين التي ألفت الظلمة، بالأحرى يوقظها، يربت بحنان عليها لتنفتح. ثمة نور خافت، ضعيييف، قد يحدث انفجارا خلاقا، أو يفسد كلية العزلة وسلطتها.. يوقظك فجأة بعد طول سبات، يشعل

شرارة رغبة ما في استئناف ما أهملته في السابق. في اختبار عبثية الحياة مجددا، في امتلاك بعض الشغف للمواصلة بعد أن نفذ حتى آخر ذرة.. ثغرة في جدار العزلة قد تشحن روحك قليلا، تنعشها، تعطيها مبررا متجددا للانغمار في حياة، كانت قد فقدت كل جاذبيتها بالنسبة لك.

***

تحب أن ترى صورتها في عيون الآخرين، ربما يرسمون ملامحا جديدة لها، يضيفون جمالا لا تصدق في وجوده، يشكلونها كما يريدون لها أن تكون، أو يرسمونها وفقا لأحلامهم، لتصوراتهم عن المرأة الحلوة. ما يسقطه خيال الآخرين عليها يشعل خيالها، يفرحها، جديدة هي دوما في عيون الآخرين، طازجة، وشهية. ليس سيئا أن تشغل مساحة ما في خيال الآخرين، ربما تتنفس هناك بحرية أكثر، تستطيع أن تصفو روحها أكثر، وتكتسب جمالا لا يوصف.

***

للوحشة التي تلي الذوبان في آخر طعم مختلف، أن تتماهي فيه ثم فجأة تقفين بمفردك، عارية إلا من الوحدة، تواجهين ذاتك التي لا تكف عن الثرثرة، عن التوبيخ، عن تأنيبك لأنك تعشقين الذوبان في آخر، الاندماج فيه، الانعجان معه لتشكلي كلا واحدا. تشكك في ذوبانك،

تجعلك تعيدين النظر في الخيال الذي أوهمك بذلك، بلحظات الفرح التي طرت فيها بعيدا حد غيوم السماء، في غيوم السماء نفسها والتي تحبين تخيل نفسك وأنت تغرقين في نعومتها وطراوتها، في خفقات القلب ونبضاته التي تسارعت لأجله. هل التماهي فيه لا حدود له، هل الذوبان لا رجعة فيه، أم أن خيالك هو من أوهمك أنك تستطيعين أن تنحلي لذرات، لتلتصقين به أين ذهب، يتنفسك مع الهواء، تحومين حوله كفراشة، تلتصقين بجلده. تخبرك ذاتك مجددا أنه لا توحد بين روحين، لا التصاق بين جسدين، لا تماهي يحدث، إنما هي أوهام خيالك الذي لا يريد أن يستسلم لوحدته الأزلية.

***

جيشان الأفكار، واحتدام المشاعر الناتج عنه، ذلك الازدحام المداوم والذي لم تستطع ابدا تفسيره، دوما ما تنحشر الأفكار داخل ذهنها الصغير، والذي يضيق بهم، وتتدافع الانفعالات، ويتأرجح مزاجها، كأرجوحة قديمة في حديقة للأطفال، تهالكت أجزاؤها، لكنها لا تحال أبدا للتقاعد. من يمنحها الهدوء، من يمنحها ملجأ تختبيء فيه من توترها، والذي لا ينفك يلاحقها كظل، من يمنحها القدرة على التمهل، والتلذذ بهدوء لا ينبض أثناءه قلبها نبضاته العنيفة. من يربت على

قلبها بأصابع حانية ليهدييء من تسارع نبضاته، ويلمس بحنان ملامحها حتى تتخلي عن تحفزها، وتستلم للارتخاء بعد أن ظلت سنوات طوال مشدودة، من يبطيء من تدفق دماءها في الأوردة، ويعطي لعينيها إغماضة الاطمئنان، من يمنحها حس السكينة، ويساعد روحها على أن تصفو.. ربما لا أحد.

***

لم تعد تعرف كيف تكون ناعمة كوردة، ربما لم تكن وردة في السابق، كما توهمت، أو امتدت الأشواك، لتغطي على نعومة أوراقها، او ربما هي الوحشة من قطفت أوراقها، ورقة ورقة، مراهنة على امتلاك أيامها القادمة، جميعها. يمتلئ قلبها بالريبة، أصبحت لا تصدق في جاذبيتها، في رقتها، في أن يشتاق إليها أحد، في أن تملأ خيال أحدهم، أو تدفئ قلبه. لم يتحجر قلبها، أو ربما تحجر، لكنه فقط أصبح لا يطمئن، لا يرتكن لذلك اليقين بأن هناك من يهتم، لم تعد روحها تسكن بوهم أنها نصف يمكن أن يكتمل.

للتواصل مع الكاتبة..

Sail.wardb@gmail.com